

من تراث الغماريين

أولياء وكرامات

النقد المبرم لرسالة الشرف المحتم

للمحافظ السيوطي

نقد وتحليل لأبي الفضل

عبد الله بن محمد بن الصديق
الغماري الحسني الإدريسي

وفقه الله... وعفا عنه

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

مكتبة القاهرة:

تليغرام ٥٩٠٥٩٠٩

الأزهر

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

حقوق الطبع والنشر والترزيع محفوظة.

مكتبة القاهرة :

الرئيسي ١٢ في انصنادقية بالأزهر

النسخ : ١٩ دريد الأثرية خلف الجامع الأزهر

ص ب ٩٤٦ العتبة

تليفون ٥٩٠٥٩٠٩

القاهرة

جمهورية مصر العربية

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

١٩٩٨ / ١١٣٥٧

التقسيم الدولي :

I. S. B. N.: 977 - 5437 - 55 - 5

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا كِتَابٌ كَسَبْتُهُ بِمَسَائِلٍ
تُخَفِّفُنِي عَلَى الْحَقِّ ذَائِقٍ وَتُسَهِّلُنِي
بَيْنِي عُلُوًّا قَدْ أَضْيَفَ جَهَنَّمَ
لِجَمَاعَةِ الْفَضْلَاءِ وَالْعَمَلَاءِ
فَالْأَوَّلِيَاءِ لَهُمْ كَسْرُ امْسَاتٍ أَنْتَ
خَسِبْتُ مَسَائِلَ بِسَلَا تُكْسِرُ وَلَا عُمَلَاءَ
لِكَيْتُهَا لَا تَنْتَهِي أَبَدًا إِلَى
مَا قَدْ يَفْسُقُ نَصْرُ الْعَمَلَاءِ
أَعْنِي مُجَالًا لَا تَكُونُ كَسْرَامَةً
كَسَلًا وَلَا كَسَلِيًّا عَنِّي التَّجَسُّبَاءُ (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذي له ما في الأرض والسموات، وأرسل الرسل وأيدهم بالمعجزات، وأحب أوليائه وأنعم عليهم بالكرامات؛
أما بعد...

فهذا الكتاب الذي بين أيدينا، يتناول بالبحث والتدقيق موضوعاً في غاية الأهمية، ألا وهو كرامات الأولياء والصالحين.

وال مؤلف - رحمه الله - مثل في كتابه هذا منهجاً عادلاً، وطريقة وسطاً، فكل ما وافق الكتاب والسنة من كرامات الأولياء والصالحين أثبتته وأيده؛ وكل ما خالف الكتاب والسنة كشف زيفه وأظهر بطلانه، أياً كان صاحبه ومهما بلغ من شأنه وعُلو ذكره بين العوام وغيرهم من فئات الناس.

ويجب أن نؤكد في هذا الكتاب بحكمته جليلة لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في هذا الشأن، حيث قال رحمه الله:

«وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع رسول الله ﷺ فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ؛ مثل أنشقاق القمر، وتسبيح الخصال في كفه، وإتيان الشجر إليه، وحسن الخلق إليه، وإخباره ليلة المراجيع بمسافة بيت المقدس، وإخباره بما كان وما سيكون، وإتيانه بالكتاب العزيز، وتكثير الطعام والشراب مرات كثيرة... ومثل هذا كثير قد جمعت نحو ألف معجزة.

وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جداً؛

مثل ما كان «أسيد بن حضير» يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج وهي الملائكة نزلت لقراءته، وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين، وكان سلمان وأبو الدرداء يأكلان في صحفة فسبحت الصحفة أو سبح ما فيها، وعباد

بن بشر وأسيد بن حبيب خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة فأضاء لهما نور مثل طرف السوط فلما افرقا افرق النور معهما، رواه البخاري وغيره .

وقصة الصديق في الصحاح لما ذهب بثلاثة أضياف معه إلى بيته وجعل لا يأكل لقمة إلا ربي من أسقطها أكثر منها فشبعوا وصارت أكثر مما هي قبل ثلث : فتظر إليها أبو بكر وإمراته فإذا هي أكثر مما كانت، فرفعها إلى رسول الله ﷺ، وجاء إليه أقوام كثيرون فاكلوا منها وشبعوا .

وعن حبيب بن عدي : كان أسيراً عند المشركين بمكة ... شرفها الله تعالى ... وكان يؤتى بعنق بأكله وليس بمكة عنبة . .

وخرجت : ثم أيمن : مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء فكادت تموت من العطش فلما كان وقت الظهر وكانت صائخة سمعت حساً على رأسها فرفعته فإذا دلو معلق فشربت منه حتى رويت وما عطشت بقية عمرها .

وعن ابن الجلاب : لما أرسل جرداً أمر علي بن رباحاً بمسعى : سارية : فبما عمر يخطب فجعل يصيح على المنبر يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فقدم رسول أنجيش فسأل فقال يا أمير المؤمنين لقينا عدواً قهزونا، فإذا بصائح : يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فاستأنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله .

وهذا من المفسرسي : كان عامل رسول الله ﷺ على البحرين وكان يقول في دعائه : يا عليم ! يا حليم ! يا علي ! يا عظيم ! فيستجاب له، ودعا الله بأن يسقطوا ويشوضوا لما عدوا الماء والإسقاء لما بعدهم فأجيب، ودعا الله لما اعترضهم البحر ولم يقدروا على المرور بخيولهم فمروا كلهم على الماء ما أتلت سروج خيولهم، ودعا الله أن لا يروا جسده إذا مات، فلم يحدوه في الدفن .

وهذا ناب واسع قد بسط الكلام على كرامات الأولياء في غير هذا الموضع، وأما ما نعرفه عن أعيان وتعرفه في هذا الزمان فكثير .

ويقول ابن تيمية - رحمه الله - عن ما يظنه كثير من الجهلاء أنه كرامات ولكنه في حقيقة الأمر أحوال شيطانية .

وهذا بخلاف الأحوال الشيطانية مثل حال : عبد الله بن صياد الذي ظهر في زمن

النسبى عليه السلام، وكان قد ظن بعض الصحابة أنه الدجال، و«الأسود العنسى» الذى ادعى النبوة كان له من الشياطين من يخبره ببعض الأمور الغيبية، وكذلك حائل «مسيئمة الكذاب» كان معه من الشياطين من يخبره بالغيبيات ويعينه على بعض الأمور، وأمثال هؤلاء كثيرون.

وبين كرامات الأولياء وما يشبهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة: منها أن «كرامات الأولياء» سببها الإيمان القوى، و«الأحوال الشيطانية» سببها ما نهى الله عنه ورسوله، مجمل في الفتاوى ج ١.

ومما سبق يتبين لنا أن هناك كرامات للأولياء موافقة للكتاب والسنة، وأحوال شيطانية يفتنها الجن لأوليانهم، وهى مخالفة للكتاب والسنة.

وما قام به مؤلف هذا الكتاب هو التفريق بين كرامات الأولياء وبين أحوال أولياء الشياطين، حيث نصر الحق على الباطل بالدليل من الكتاب والسنة، فجزاه الله خيراً، ورحمه الله تعالى..

الناشر

مكتبة القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبب تأليف الكتاب

الحمد لله مظهر الحق ومعليه، ومدحض الباطل ومخفيه، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الذي جاء بالصدق وأرشد إليه، ونهى عن الكذب وأخبر بوجوب الذلعة عليه، ورضى الله عن آله الكرام وصحابته الأعلام، وعمن نهج نهجهم في التمسك بالصدق، والتمسك قول الحق، لا يبعثون به بديلاً، ولا يتخذون غيره سبيلاً محتلين قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

أما بعد ...

فقد وقفت - وأنا في سن الطلب - على رسالة منسوبة للحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى - اسمها:

«أنشرف إجماع فيما من الله به على وليه السيد أحمد الرفاعي من تقبيل يده النبي ﷺ»، فلم أعرجها كبير اهتمام، بل قبلت ما جاء فيها بالإذعان والاستسلام، ولما قرأت علم الأصول، وتمكنت فيه، وعرفت فوائده من خواصه، أدركت بطلان تلك الإنكرامة التي ألفت الرسالة لإثباتها، ونسبت في كتابي «مصباح الزجاجية في صلاة الحاجة» على ذلك، ثم أعيد طبع تلك الرسالة في هذه الأيام، فرأيت خطورة ما تحويه من نسبة شيء إلى النبي ﷺ، لم يحصل منه، وهذا أمر لا يجوز السكوت عليه، ولا يصح إغفاله.

فأردت أن أبين في هذه الورقات، كذب تلك الإنكرامة المفتعلة، وأبرهن على بطلانها بقاعدة أصولية، لم ينسب لها كثير من العلماء، فضلاً عن دونهم، كما أبين بطلان نسبة الرسالة إلى الحافظ السيوطي - رحمه الله ورضي عنه - ثم أذكر بعد ذلك كرامات، نسبت إلى عدد من الأولياء، ولم تحصل منهم، وإنما صنعها أتباع والمحبون المشغولون، والله أعلم أن يهدينا سواء السبيل، فهو حسبي ونعم الوكيل.

المؤلف

مقدمة

في ذم التغالي

كثير من الناس، إذا سمعوا بكتابي هذا وراوه، فسوف يعترضون عليّ، ويقولون سيهام اللوم إليّ، وسوف يقولون عني: إني ملئت ثلوهابية، أو أخذت، فتعجيزي قدرة الله، أو نافقت، لإنكاري بعض الكرامات، إني غير هذا مما يتردد علي أنسة الجهلة أعداء البحث العلمي، وأنصار الخرافات والأوهام^(١)، وذلك لا يضبرني، بل يزيّنني عند الله وعند العلماء الصغين، لأنني نفيت عن رسول الله ﷺ كذباً، يلحقني ألم لو لم أنفه عنه، وقد قيل ليحيى بن معين: أما تختشي أن يكون هؤلاء الذين جرحتهم خصمائك يوم القيامة؟ فقال: لأن يكونوا خصماءي، أحسب إلى من أن يكون النسي ﷺ خصمي، حيث لم أذب عنه الكذب^(٢)، ولتصوف صادق في القول والعمل، وليس ثلقفاً نلاكاذيب، ولا شرويحاً لها؛ وأنا صوفي عقيدة ونسباً، شاذلي طريقة ومشرعاً، أعتمد الكرامات، ولي فيها تاليف جيد مفيد، اسمه «الفتح المبينات في إثبات الكرامات»، وهو مطبوع، فكن لا أؤيد الخرافات، والفرق بين الكرامة والخرافة ظاهر، يعرف بالعرض على قواعد علم الكلام والأصول، ومن لا يحسن قواعد هذين العلمين، يحسن به أن يسكت عن الكلام في موضوع الكرامات، لأنه إذا تكلم ففسح نفسه، وأظهر جهله، وتعجيز قدرة الله تعالى، كفر صريح، لكن لا علاقة له بنفي ما قام الدليل على بطلانه.

أما النفاق، فحشره هنا حشو ولمن من القول، لأنه بأنواعه^(٣) الثلاثة، أبعد ما يكون عن الكرامات، بله الخرافات.

هذا وما لاشت فيه إن التغالي مذموم، لأنه خروج عن حد الاعتدال المقبول.

(١) الناس في هذا الوقت لا يعرفون الاعتدال، فإما أن يعتقدوا ما يسكنهم من الأولياء جميعه، لا يعرفون بين غنه وسميته، وإذا أنكر الشخص بعض الكرامات التي اقتضى اقتضائها اعتباره وهابياً وتصوره العدا، وأما أن ينكروا الأولياء وكراماتهم جميعه، ويعتبروا معتقد ذلك مغروراً كـ: «أولئك خلاف هذين الطريقين».

(٢) وقال يحيى أيضاً: نحن نخرج الناس لأهلهم سطوا رحلتهم في الجنة منذ زمان، يعني أنهم كانوا بها حين.

(٣) هي: نفاق كفر، ونفاق عمل، ونفاق اجتماع، وقد بينتها بأملتها في خواطر دنية.

ولذلك نهى النبي ﷺ الأمة عن التعالي في شأنه فقال: « لا تطربوني كما اطرب النصراني عيسى؛ وقولوا عيد الله ورسوله » لأنه عليه الصلاة والسلام، خشي أن يحمله حبه أناساً من أمته أن يدعوا فيه الألوهية، كما ادعاه النصراني في عيسى، حيث زعموا فيه أنه ابن الله، أو ثالث ثلاثة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وقد عصم الله أئمة الحمديّة من ذلك؛ فلم يصفوه بأكثر مما هو وصفه، كما قال أبو بصير:

فمستبغ المعلوم فمسيبه أنه بشير

وأنه خسر خلق الله كلهم

لكن تعالى كثير من الناس في الأولياء، فرفعوهم إلى رتبة النبوة حيناً، وإلى رتبة الألوهية حيناً آخر.

من النوع الأول: جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: « إن الله وكل بقبري ملكاً أعطاه أسماء الخلائق ليبغني سلام من سلم عليّ من أمتي » الحديث، وقال المتغالون في الأولياء - وكذبوا - : « إن الله وكل بقبر كل ولي ملكاً يقضي حاجات الزائرين المتوسلين بذلك أنولي، وهذا مخالف لما فاته الصوفية أنفسهم، فقد قال القطب شمس الدين محسن الحنفى: « إذا مات التولي انقطع تصرفه في الكون من الإمداد، وإن حصل مدد للزائر بعد الموت، أو قضاء حاجة، فهو من الله تعالى، علي يد القطب صاحب الوقت، يعنى أنولي الخ، لأن الميت لا إمداد عنده، ولا ملك عند قبره.

ومن المعلوم أن النبي ﷺ، هاجر من مكة إلى المدينة، بوحي من الله تعالى.

وقال المتغالون في السيد أحمد البدوي: إنه لم يذهب من مكة إلى العراق، إلا بأمر الهاتف الذي أمره بالسفر، وقال له: « إن لنا في ذلك شأنًا، ثم رجع إلى مكة، فأمره الهاتف أيضاً بالذهاب إلى طندنا، وقال له أيضاً: « إن لنا في ذلك شأنًا، وهكذا لم يكن يتحرك السيد البدوي إلا بوحي، كما لم يكن النبي ﷺ يتحرك إلا بوحي.

ومن النوع الآخر: قال الله تعالى عن عيسى - عليه السلام - حاكياً على لسانه: ﴿ وَأَحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وحكى المتغالون - وكذبوا - عن الشيخ جلال الدين الرومي: « إن أناساً كانوا يناقشونه في كرامات الأولياء وذكروا إحياء الموتى معجزة لعيسى - عليه السلام - فذكر

نهم أنه يفعل مثلها، وسرت بهم جنازة، فاستأروا على النسيجين بالوقوف، ثم سأل المتناقشين: كيف كان عيسى يحيى الموتى؟ قالوا: كان يقول للميت قم بإذن الله، فيقوم. فالتفت الشيخ جلال الدين إلى الميت - وهو على النعش - فقال له: قم بإذني، لقم! هذه رتبة الألوهية، ولكن المتغالبين والخرفين لا يرون فيها شيئاً، بل يحتجون بصحتها بحديث قدسي يقول: عيسى! اطعني! أجعلك رباباً نقول للنبي: كن فيكون ٢.

وفاتهم أمراً:

١. أن هذا الحديث لا أصل له، بمعنى أنه لم يروه أحد من أهل الحديث، ولا يوجد في شيء من كتب السنة ٣.

٢. إنا لله تعالى فإن عيسى - يهذه نسخة عليه - ﴿وإذا نطق من إلهي طهيرة الطير بإذني فتتبع فيهما فتكون طيراً بإذني ويبري الأكمة والأبرص بإذني وإذا أخرج الموتى بإذني﴾ (المائدة: ١١٠)، ثم يهذه رتبة قول كثر، مع أنه من أمضى العبيد الريانيين، نعم أعطبها النبي ﷺ شخصاً له، ففى غزوة تبوك رأى الصعوبة شيئاً من بعيد، فقالوا: هذا شخص يريد الحقوق بنا، فقال النبي ﷺ: «كن أباً خيثة» فإذا هو أبو خيثة، وشاهدوا شيئاً آخر، فقال النبي ﷺ: «كن أباً ذر» فإذا هو أبو ذر، أما قول محشاه الدمنوري: تركت قولى للنبي: كن فيكون، منذ عشرين سنة، أدياً مع الله - عز وجل - فقد أوثقه بعض كبار الصوفية بأن معناه: أنه كان معجلاً بالدعوة، كلساً دعاً أجيب، ثم ارتفع عن ذلك إلى الله تعالى، فصار بمراد الله لا بمراده، فترك الدعاء، وهذا تناوب مشعب.

وحصلت مناقشة بين وهابى وخصمه بالمتصورة، كنت حاضراً فيها، فقال الوهابى لخصمه: لم تذهب إلى قبر الولي فتشكى فلاناً الذى ظلمك؟ ولم لا ترفع شكواك إلى الله؟ فرد عليه خصمه بقوله: وبئس ما قال - لا أشتكى إلى الله تعالى، لأنه حلیم يهمل، وأشتكى إلى الولي، لأنه عجز، يعظ في الغل، فمرقته خطيئته، وبينت له: أن الله تعالى إذا أهمل شخصاً ولم يعاقبه، فلا يستطيع ولي ولا نبي ولا ملك تعجيل عقوبته، والله تعالى يقول لنبيه: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾

(١) وإنما هو من الإسرائيليات، مثل الحديث القدسي: «ما سئلت رضى ولا سئلت روعاً» (١) وهو من الإسرائيليات أيضاً.

[الأنبياء: ١٨٨] ... ﴿قُلْ إِنِّي لَمَجْسُرٌ مِّنَ اللَّهِ أَن أَخَذُ وَلَن أجدُ مِن دُونِهِ مُتَسَدِّدًا﴾ [١٨٩] ﴿الجن: ٢٢﴾، ويقول النبي ﷺ في وصيته لابن عباس: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينقضوك بشيء لم ينقضوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك».

وليس التوكل إلا رجلاً صالحاً ترجى بركة دعائه، أو بركة الاستسماح به، أما أن يفعل شيئاً ثم يردده الله، فلا يقدر عليه هو ولا العالم بأجمعه ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٧].

وهذا من أليدهيات في عقيدة الإسلام، لكن الجهل بالدين، عم أغلب الناس، فوقعوا في الضلال وهم لا يشعرون.

الباب الأول

وهو يشتمل على فصلين :

الفصل الأول

إبطال حكاية تقبيل الرفاعي يد النبي ﷺ

في إبطال حكاية تقبيل الرفاعي يد النبي ﷺ جاء في رسالة الشرف أختتمت عن الشيخ عز الدين عمر أبي الفرج الفاروق الواسطي، قال: كنت مع شيخنا ومقرعنا سيدنا أبي العباس القحطبي الغوث الجامع الشيخ السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه عام خمس وخمسين وخمس مائة: العام الذي قدر الله له فيه الحج، فلما وصل مدينة الرسول ﷺ، وقف تجاه حجرة النبي ﷺ، وقال علي رعون الأشهاد:

السلام عليك يا جدّي، فقال له ﷺ: وعليك السلام يا ولدي، مسمع ذلك كل من في المسجد النبوي، فتوجد سيدنا السيد أحمد الرفاعي، وأرعد وأصفر لونه، وجلس على ركبتيه، ثم قام وبكى وأنّ طويلاً، وقال: يا جداه:

في حادثة البعس روحى كنت أرسلها

تقبيل الأرض على وهى نائبى

وهذه نوبة الأشمس أح قسده حشرت

فأمسد بعينك كى تحطى بها شفتى

فمد له رسول الله ﷺ يده الشريفة العطرة، من قبره الأزهر، فقبلها في ملا يقرب من تسعين ألف رجل، والناس ينظرون أيد الشريفة، وكان في المسجد مع الحجاج الشيخ حياة بن قيس الحراني، والشيخ عدي بن مسافر الشامي وغيرهم، وتشرفنا معهم برؤيا أيد أحمدية الزكية، وفي يومها تبس الشيخ حياة بن قيس الحراني، خرفة السيد أحمد الرفاعي الكبير^(١)، وأندرج في سلك أصحابه.

(١) هذا الوصف يدل على كذب القصة أيضاً، وإنها صنعت في عهد متأخر، لأن الشيخ أحمد بن الرفاعي لم يوصف بالكبير إلا بعد وجود الشيخ عفي الرفاعي، لتمييز بينهما.

ومن طريق آخر، عن الشيخ علي بن إدريس المعقوبي، عن شيخه القطب الفرد الشيخ عبد القادر الجيلاني، ثم البغدادي، قال: كنت في محفل الكرامة التي أكرم الله بها الشيخ أحمد الرفاعي الكبير بتقبيل يده النبي ﷺ. قال المعقوبي: فقلت: أي سيدي أما حسده علي هذه الكرامة من حضر من الرجال؟ فسكني رضي الله عنه، لم قال: يا ابن إدريس علي بغيطه الله الأعلى.

وعن الشيخ عدي بن مسافر، وخادمه الشيخ علي بن موهوب، قالوا: كنا في مسجد النبي ﷺ، عام حرجنا، وكان الشيخ أحمد بن الرفاعي - رضي الله عنه - واقفاً تجاه الحجرة الطاهرة، وقد تكلم بكلمات ضبطها عنه جماعة، فما أتم كلامه، إلا وقد مدت له يد رسول الله ﷺ، فقبلها ونحن ننظر مع الحاضرين، قال ابن موهوب: والله كأي بها وقد خرجت من انقبر الشباك، يد بيضاء سوية، طويلة الأصابع، كأنها البرق المضيء، وكأني بالحرم وأهله، وقد كاد يسجد، وقد كادت تقوم قيامة الناس، لما ألم بهم من الدهش والخيرة، والنهيسة والسلطان الحمدي، وقد قام الرعب وقعد بشكبير الناس، وصلاتهم عليه ﷺ.

هذه هي القصة التي يعدها المتصوفة معجزة للنبي ﷺ، وكرامة للشيخ أحمد بن الرفاعي - رضي الله عنه.

والنبي ﷺ له معجزات كثيرة، وهو حي في قبره الشريف، بدلالة القرآن والسنة والإجماع، يرد سلام من يسلم عليه، ويشفع فيمن استشفع به، والشيخ الرفاعي أهل لهذه الكرامة وغيرها، لأنه من الأقطاب الكبار الذين نعتقد ولا يتهم الكبري، لكننا نهرم بأن هذه القصة مكتوبة، لا تصيب لها من الصحة، وإن ذكرها للشيخ عبد الجواد الشربتي في كتاب «درر الأصداف في مناقب الأشراف»، والجمل في حاشية البهزمية، والميد الشبلنجي في كتاب «نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار» غير أنه بعد أن ذكرها، عقب عليها بقوله: لكن المشهور بهذه الكرامة سيدي علي الرفاعي الشهير بأبي شباك^(١) الذي بمسجد ذخيرة الملك، يسوق السلاح، تجاه مدرسة السلطان حسن، ولقائل أن يقول: لا مانع من وقوعها لهما أ. هـ. ونجزم بأن مفتعلها تحمل وزراً كبيراً يتبوأ به مقعداً في نار جهنم^(٢)، ويأت ذلك من وجود:

(١) قال الشيخ سيد الشبلنجي يرحم وتوفى القصة للشيخ علي الرفاعي، بمعنى هذا أن القصة ليس حقة على نوعها للشيخ أحمد الرفاعي، ونجزمه وقوعها لهما معاً بعد، جداً والقصة على كثرة الخاترين باطل.

(٢) لتحديث التواتر من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده في جهنم.

الأول : تقرير في علم الأصول : أن الخبر إذا كان متوقفاً بالدواعي على نقله بالتواتر، ثم نقل بطريق الآحاد، فهو مقطوع بكذبه، ومثل أهل الأصول لذلك، يستعمل الخطيب عن الخبر يوم الجمعة، فإن هذا الحادث لو حصل، يستدعي أن يخبر به جميع من كانوا في المسجد، فإذا انفرد به ثلاثة منهم، أو أربعة، أو عشرة، قطعنا بأنه مكذوب، وقولنا بأنهم اختلقوه، أو اختلقه أحدهم ووافقوه بقولهم، ونحن إذا تأملنا تلك القصة، وجدناها محكي خروج اليد الشريفة، من القبر المكرم، إمام جمع يقرع من تسعين ألف رجل، وأن الغريم الثبوي كاد يمد من اللههشة، وكادت قيامة الناس تقوم، وغمام الرحب وقعد، بتكبير الناس وصلاتهم على النبي ﷺ، وهذا حادث عظيم، فارق العبادة، شهد به عدد كبير من الحجاج، من مختلف الأقطار الإسلامية، فكان الواجب أن يتحدثوا عنه، فيسخر حجازيون ومسيحيون ومسلمون منهم شاهدوه، وكذلك غيرهم من القارئين والمفسرين والسودانيين والهنديين والأكراد وخلافهم، وأن يسجل في تواريخ المدينة المنورة، لكن لا نجد له ذكراً في كتاب وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ولا في اختصاره، خلاصة الوفا، ولا في غيرهما من تواريخها، ولم يذكره السيد عبد القادر الجيلاني في كتبه، ولا في شروحه، ولم يذكره الشيرازي في الطبقات، مع حرصه على ذكر ما هو أجل منه .

والثاني : تحدث به أربعة أشخاص فقط : عوفيان وشاميان فهذا دليل قاطع على أنه حادث مضمحل، والذي عنده منه حسلاً ورده، نسب روايته إلى ثلاثة شيوخ أجلاء هم : عبد القادر الجيلاني، وعبد بن مسافر، وحياة بن فليس الشيرازي، وهؤلاء من كبار الأولياء، فنسبة القصة إلى روايتهم، تحمل الناس على تصديقها، واعتقاد حقيقتها، لكنهم لم يروا هذا الحادث، ولم يتحدثوا عنه، لأنه لم يقع، ولو وقع لكان غيرهم ممن شاهدوه، أسرع منهم بالحديث عنه، فإن هذا الحادث في غربته، وعظم شأنه، يتسابق من يشاهده إلى إشاعته، خصوصاً الحجاج^(١)، فإنهم يتحدثون عما شاهدوه في الحجاز من الأمور المعتادة، فكيف نسوا أن يتحدثوا عن هذا الأمر الجلل ؟

وقد وقع حادث شبيه بهذا، تحدث عنه من شهدوه وكتبوه، قال تقي الدين المقرئ في كتاب : إغاثة الأمة بكشف الغمة :
ما نصه :

حكاية الثور الذي نطق

وقع في آخر هذا الغلاء عجيبة في غاية الغرابة، لم يسمع بمثله، وهي أن رجلاً من

(١) شاهدنا كثيراً من الحجاج ضلوا يتحدثون عما شاهدوه في حجهم، بقية حياتهم.

أهل النفلج، بحسبة عال، إحدى قرى دمشق، خرج بشور له، ليسد الماء، فإذا عدة من الفلاحين، قد وردوا الماء، فأورد الثور، حتى إذا اكتفى، نفق بلسان فصيح، أسمع من بالمورد، وقال: الحمد لله، والشكر له، إن الله وعد هذه الأمة، سبع سنين مجتدة، فشفيع لهم النبي ﷺ، وأن الرسول أمره أن يبلغ ذلك، وأنه قال: يا رسول الله قمأ علامة صدقي عندهم؟ قال: أن تموت بعد تبليغ الرسالة، وفيه بعد فراغ كلامه، صعد إلى مكان مرتفع، وسقط منه وصات، فتسمع به أهل القرية، وجاءوا من كل حدب ينسلون، فأخذوا شعره وعظامه لتقبره، فكانوا إذا يخبروا به موعوكة برى، وعمل بذلك محضر مشبوت^(١)، على قاضي البلد، وحمل إلى السلطان بمصر، فوقف عليه الأمراء، واشتهر بين الناس خبره، وشاع ذكره، وذاكر هذا الحادث، أيضاً في كتاب السلك لمعرفة دول الملوك.

هذا حادث وقع في قرية من ريف دمشق، حضره عدة من الفلاحين، لا يتجاوزون مائة، ومع ذلك عمل به محضر عند القاضي، وحمل إلى السلطان بمصر، وسجله المؤرخ المقرئ في كتابين من كتبه.

فكيف لم يسجل حادث الشيخ الرفاعي وهو أعزب من هذا الحادث وأعجب؟ وأرفع منه وأشرف؟ يضاف إلى ذلك أنه وقع في المدينة المنورة، قبة الإسلام، وفي مسجدها النبوي، ثاني الحرمين، أمام عدة آلاف من المسلمين، حضروا من مختلف بقاع الأرض.

الوجه الثاني: أن رواية القصة لم يتفقوا على سياقها، بل اختلفوا فيه اختلافاً يقضي بطلانها، فبينما يقول عز الدين الفاروقي عن الشيخ أحمد بن الرفاعي: وقف تجاه حجرة النبي ﷺ وقال عني رعي الأسياد: السلام عليك يا جدي، فقال له النبي ﷺ: وعليك السلام يا ودي، سنع ذلك كل من في المسجد النبوي، إذا بالشيخ عدي بن مسافر وتلميذه علي بن موهوب يقولان: كان الشيخ أحمد الرفاعي واقفاً تجاه الحجرة الطاهرة، وقد تكلم بكلمات، ضبطها عنه جماعة - يقصدان بيئ الشيخ - فما أتم كلامه إلا وقد مدت له يد رسول الله ﷺ، فقبضها ونحن نتظر مع الحاضرين، فلم يذكرنا كلام النبي ﷺ، وقد سمعنا كل من في المسجد النبوي! وهو لا يقل غرابة وعجيباً عن خروج اليد الشريفة من القبر، بل هو الذي شجع الشيخ الرفاعي على إنشاء البيتين، فكيف سكتا عنه؟ لا تعليل لذلك إلا أن صانع القصة لم يحسن سبكها، فنسي أن

(١) كذا، والصواب: ثبت بضم الميم وفتح الباء، لأنه من أتيت، أما ثبت التلافي فلازم.

ينسب إلي رواتها لفظاً واحداً يتفقون عليه، والمثل يقول: إذا كنت كذوباً فكن ذكوراً، ويجوز أن يقال: كان القاروئي تلميذاً للشيخ الرفاعي، يهيمه إثبات النسبة النبوية له، فلذلك سمع سلام شيخه، ورد النبي ﷺ بما ثبت نسب، بخلاف الشيخ عدي وخادمه، فليسا تلميذين لرفاعي، ولا يعنيهما ثبوت النسب له، فلم يسمعا تلك الحادثة التي سمعها كل من في المسجد النبوي!!

الوجه الثالث: أن الشيخ أحمد بن الرفاعي ... رضي الله عنه ... منسوب إلي بنى رفاعية، قبيحة من العرب، كما في طبقات الشعرائي، فكيف يقول: السلام عليك يا جدي؟ وهو لم يدع الانتساب إلي الحسين ولا الحسن عليهما السلام، وخاله الشيخ منصور البطانجي ... وهو من الأولياء ... لم يكن يدعو إلا يلفظ أحمد، مسجداً عن السيادة، مع أن الأولياء أحرص الناس على تعظيم أهل البيت وتسميتهم، من غير مراعاة للقرابة أو غيرها، كما هو معلوم من أخلاقهم وآدابهم.

والحقبة أن الرفاعي ... رضي الله عنه ... لم يثبت له الشرف إلا بعد موته بمدة، حين ظهرت فكرة الأقطاب الأربعة، وكان هو أحدهم، وعز علي بعض أتباعه ألا يكون شريفاً مثل إخوانه الأقطاب الثلاثة: الخميني والبندي والديسوقي، فأنشأ له نسباً يتصل بالحسين ... عليه السلام - لكن أبا الهادي الصيادي الرفاعي لم يكتف بهذا، بل أنشأ له نسباً أيضاً يتصل بالحسن - عليه السلام - وبذلك صار الشيخ الرفاعي حسيماً حسناً، وأماز علي زملائه بالجمع بين الشريفين!

الوجه الرابع: ولو كان الشيخ الرفاعي حسيماً فإنه لا يقول تلك الكلمة لأسباب:

أخذها: أن الأدب المطلوب في الزيارة النبوية أن يقف الزائر في المواجهة الشريفة بخشوع، ويقول: السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا رسول الله، أشهد أنك بلغت الرسالة، وأدنت الأمانة، ونصحت الأمة، ونجا هدت في الله حق جهاد، إلي آخر ما هو متداول في كتب الفقه، والشيخ الرفاعي ما كان يجهل هذا الأدب، وما كان لديه، لأنه من كحل الأولياء الخريصين على اتباع آداب الشريعة.

ثانيها: أن الشيخ الرفاعي كان متواضعاً شديداً التواضع، يحجب الحسول، وعدم الظهور، وطريقة مبنية على التواضع، فكيف يقول علي دعوس الأشهاد: السلام عليك يا جدي؟ وهل هذا إلا تفاخر بالنسب؟ وما كان التفاخر من خلق الرفاعي، ولا حب

الظهور في طبعه .

ثالثها : أن الأدب المراعى بين الأولياء بعضهم مع بعض إذا اجتمعوا : ألا يتقدم صغير منهم على كبير ، تقول النبي ﷺ و كبير كبيره ، أى قدم الكبير ، وإذا كان الأمر كذلك ، فكيف تقدم الشيخ الرفاعى بتلك الكلمة ، مع وجود السيد عبد القادر الجيلانى ، وهو أكبر منه سناً ، وأجل مقاماً ، وأكثر علماً وإتجاهاً هذا إلى أن الجيلانى حسنى ، والرفاعى حسينى ، والعارف الشجرانى يقول عن تواضعه وفرط أدبه : ما تصدر قط فى مجلس ، ولا جلس على سجادة ، تواضعاً . هـ .

وأيضاً : فإن الله تعالى يقول ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور : ٦٣] ، أى لا تنادوه ، كما ينادى بعضكم بعضاً باسمه أو لقبه : يا فلان أو يا أبا فلان ، ولكن عظموه ونادوه : يا نبي الله يا رسول الله ، ونحو ذلك من ألقاب التعظيم ، وكلمة يا جدى أو يا أبى لا تعظيم فيها ، بل من الآداب العامة أن الشخص إذا كان أبوه خفية أو ملكاً ، فإنه يحاط به أمام الناس بلقب التعظيم نحو يا أمير المؤمنين ، يا أبا المنان ، ولا يقول : يا أبى .

وأيضاً : فإن مواقف أمام الشجرة الشريفة ، يعتبر من هبة المكان ، وجلال الموقف ، ما ينميه نفسه وشرفه وعلمه ، فلا يمكنه أن يقول : يا جدى ، أو يا أبى ، وإنما يهتف بشوق يا رسول الله ، يا شفيع المؤمنين ، يا نبي الرحمة ، يا حبيب رب العالمين ، حيث أطلب شفاعتك ، وأرجو رفدك .

وأيضاً : فإن الصوفية قالوا : ينبغي لمن يدخل على ولي من أولياء الله تعالى أن يتجرد من علمه وشرفه وعمله ، منتظراً ما يفيضه الله عليه ، بطريقة ذلك الولي .

وحكوا : أن أبا الحسن الشاذلى ، لما أراد الدخول على مسولاي عيسى بن مسكين (١) ، اغتسل ونوى التجرد من علمه وعمله وشرفه فحصل له الفتح الكبير على يد

(١) عبد السلام بن مشيش ، من كبار الأقطاب مدفون بجبل العنم من قبيلة بنى عروس بمراكش ، زرت قبره ، وهو فى أعلى الجبل ، يقام له مؤبد - عمارة بلهجة ثغارية - فى النصف من شعبان ، وهو غير سيدى عبد السلام إلا سمر اندون بقرطيس الغرب ، والقريب من قبر ابن مشيش حجران كهران متقابلان بينهما فجوة طبيعية فى داخلها انحراف وتمازيج ، يمكن الدخول فيها والخروج منها بشئ من الخيلة والمرونة ، والعامه هناك يعتقدون أن من دخل فى تلك الفجوة وكان مريضاً عنت والديه خرج منها ، ومن كان مسخوط والديه أى عاقاً لها تسك فيه تلك الفجوة فلا يخرج بسهولة ، وترى الزوار يهرعون إلى ذيلك ..

شيخه المذكور - رضى الله عنهما - وإذا كان هذا بالنسبة لولى من الأولياء، كيفما كانت رتبته في الولاية، فهل يجوز لأئمة سيد المرسلين وأفضل الخلق أن يذكر علمه أو شرعه؟

وأيضاً فإن الكمل من الأولياء، حين يدخلون المسجد النبوي، لا يتقدمون لزيارة لروضة الشريفة، إلا بإذن خاص من النبي ﷺ، روبنا عن العلامة الشيخ الخطيب شيخ المالكية في وقته: أنه سمع مع شيخه القطب الشيخ عبد المعطي التونسي، قال: فلما وصلنا إلى المسجد النبوي، ودخلنا الباب، صار الشيخ يتقدم خطوة، ويقف: ثم يتقدم خطوة، ويقف، وهكذا حتى وصلنا إلى الحجرة الشريفة، فلما انتهينا من الزيارة سأله عن سبب توقفه مرة بعد مرة، فقال: كنت أطلب الأذن من النبي ﷺ بالقدوم عليه، فإذا قال: تقدم يا عبد المعطي، تقدمت.

حكاية عن الرفاعي باطلة

ثم ذكرت الرسالة قصة أخرى شبيهة بهذه.

إليك نصها: وقد ثبت أن السيد أحمد - رضى الله عنه - لما حج ثانياً في العام الذي توفي فيه، وزار القبر الطيب الطاهر، على ما كنهه أفضل صلوات الله وسلامه، قال - وهو تجاه القبر بانكسار ومسكنة:

إن قــــــــــــــمــــــــــــي زرتم بما رجـــــــــــــــستم؟

يا أكرم المرسلين ما نــــــــــــــقول؟

فظهر صوت من القبر الشريف، سمعه كل من في المسجد المبارك:

قــــــــــــــمــــــــــــوا رجــــــــــــعــــــــــــنا بــــــــــــكــــــــــــل خــــــــــــبــــــــــــر

واجــــــــــــــتــــــــــــمــــــــــــعــــــــــــ القــــــــــــســــــــــــســــــــــــوع والاهــــــــــــمــــــــــــســــــــــــول

وعنه القصة مقطوعة بكذبها أيضاً، مثل سابقاتها، لأنها لو حصلت، لأخبر بها كل من كان في المسجد النبوي، وهم الوف، لأن الوقت كان موسم حج.

« المجريين في دخولهم بالدخول بينهما، فمن خرج بسهولة فخرج، لأنه مرضى عند والديه، ومن لم يعرف، كيف، فخرج ساعده الزوار بقراءة القرآن والتوسلات، وبعد ٨٠ حتى يخرج من بين المجريين حزيناً خجلاً، لأنه عرف بين الناس بأنه مسخوط والديه، وهذه خرافة، لا أصل لها.

وما يدل على كذبها أيضاً: حال النبي ﷺ، بالنسبة لقول الشعر، فإنه لم يتشع في حياته بيت شعر غير الرجز^(١)، وما تمثل بيت شعر كامل موزون، وإنما كان يتمثل بشطر بيت فقط، مثل: ألا كل شيء ما خلا الله باطل.

ومثل: ويأتيك بالأخبار من لم تزود.

وكان يتمثل أحياناً بشطر بيت مكسور، تمثل مرة بقول القائل:

كفى الإسلام والشيب للمرء ناهياً.

فقال له أبو بكر الصديق: يا رسول الله إن الشاعر يقول:

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً.

فأعاده ﷺ مكسوراً كما نطق به أول مرة، فقال أبو بكر: ... رضى الله عنه ... صدق الله ﷻ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﷻ [يس: ٦٩]، فكيف تزعم تلك القصة الكذوبة أنه ﷺ، أنشأ بيت شعر تام الشاعيل، أجاب به الشيخ الرفاعي مساجلة؟! والدعيب: إن يقدم الفروع على الأصول، حرصاً على الثقافية لكيلا تختل!! مع مراعاة لزوم سالا يلزم!! كانه ﷺ، كان يباشر فنون الشعر، كما يباشرها فحول الشعراء.

نعم، ثبت أن النبي ﷺ، كلم قوماً بلغتهم التي لا يعرفها قريش ومعظم الصحابة، وتلك معجزة من معجزاته الكثيرة، لأن اختلاف اللغات، من آيات الله تعالى.

كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم: ٢٢]، ومعرفة اللغات، علم من العلوم التي أنعم الله بها على نبيه، حيث قال له: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ [النساء: ١١٣].

لا يصح خطاب النبي - عليه الصلاة والسلام - بكلام فيه لحن:

أما الشعر فقد نزه الله عنه نبيه بقوله تعالى:

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس: ٦٩]، وذم الشعراء بقوله سبحانه: ﴿وَالشُّعْرَاءُ

(١) أما الرجز الذي قاله: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، هل أنت إلا أصمعي دمي، وفي سبيل الله ما لفيتي، فقد جاء عفو الطبيعة، لم يقصده، كما يقصد الشاعر إنشاء بيت مراعباً تقاعيفك، على أن بعض اللغويين - لعنه الألفيش ... يرى أن الرجز ليس بشعر.

يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ [الشعراء: ٢٢٤]، وفد وفد عليه ﷺ شعراء، وأنشدوا بين يديه شعراء، فلم يحبهم بيوت، بل كان يسيب المادحين، ويكلف حسان من ثابت يذم الذاميين، وهجاء الله جاثين، فليس قول الشعر سمرة، ولا مكرمة، بالنسبة له ﷺ (١).

ثم إن البيت الذي نسبته القصبة إلى الشيخ اثرقاعى - رضى الله عنه - يستعمل على
لحن فى الإعراب؛ ومثدود فى التعبير، فلا يصح أن يخاطب به أفصح أخلق الله، لأنه
يؤله ويؤذيه، ذلك أن العربى المصعب يؤذى شعوره، ويؤلم طبعه أن يسمع كلاماً دخله
لحن فى الإعراب، أو خلل فى التركيب، ولهذا كان حمير - رضى الله عنه - يملو بالندرة
من يفتح فى الكلام؛ ويحضى على تعلم الإعراب^(٢).

وَذَاكَ الْبَيْتِ الْمُنْسُوعَةِ إِلَى التَّرْفَاعِ : يَقُولُ :

این قبلی نورتسم، کسا رجهتسم؟

أسقط ثناء الرابطة بين الشرط والجواب، فلم يقل: فيما رجعتهم؟ وهذا الجوز، ثم أثبت الالف في ما الاستغناء اسمية، في قوله: بما رجعتهم؟ والاصواب: بم رجعتهم؟ لأن ما الاستغناء إذا دخلت عليها باء الجر، حذفت الفها، نحو ﴿فِيمَ تَسْتَشِرُونَ﴾ (٥٤) [الحجر: ٥٤]، ولا تثبت إلا بشذوذاً على قلة، كما نص عليه الزمخشري في سورة الاعراف، من تفسيره، والظاهر أن الذي صنع القصة كان يجهل قواعد علم العربية، فوقع في هذين الخطأين، وكان يمكنه تجنبهما بأن يقول:

إِنَّا نَحْمِلُهُمْ بِالْأَصْفَادِ ۖ وَأَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ يُخْرِجُنَا مِنْهُمُ الْمَقَامِرَ ۚ

ثم تأمل قوله : واجتمع الفروع والأصول تحذره حريصاً على إثبات الشرف للترقيعي ؛ كما أثبت له الشرف أيضاً في القصة السابقة ، بجملته : وعليك السلام يا ولدي ، وهذا هو المقصود من القصتين ، ولولا ذلك لما نسب إلى النبي ﷺ قول الشعر ؛ أو لامكنه إذ : (١) بل كان اعترافهم منه ، ويعذرونه من قصة الأنبياء ، بل قول الإمام الشافعي :

والله اعلم بالصواب

۱. کتابت نامہ..... درجہ..... مدرسہ.....

وكانت رعبه بن عتيه يكره التثاق بالثغر، ويقول :

إني أذكركم أني يوجد في صومعتي يوم انشيامة شعر.

٢) كثيراً ما كنت ألتقي حين أسمع خطباء الجمعة يقولون: (هذه طائفة ظالمون بين يديك، وهم من الذين لم يوضحوا نذري يدرسه من أئمتنا في الآخرة) وفي القرآن الكريم: ﴿وَهَذَا بَشَرًا فِئْتًا عَلَيْهِ﴾ (عود:

نسيه إليه أن يقول :

قسسولوا رجسعتا بكل خميس

ونار منا العسسقــــــــــــــــسول والنفسلوب

ويؤيد ذلك قوله ... بعد التبيين السابقين ... على لسان مؤلف الرسالة : وأنذى أدين الله تعالى به أن السيد أحمد بن الرفاعي الشريف القاطمي الحسيني - رضى الله عنه - كان جبلاً راسخاً، وبطلاً ججاجاً... إلخ، فأقبحهم عبارة: الشريف القاطمي الحسيني هذا، لا معنى لها إلا الحرص على إثبات الشرف للشيخ الرفاعي ... رضى الله عنه .. لأن كونه جبلاً راسخاً وبطلاً ججاجاً، لا يتوقف على كونه شريعاً فاطمياً حسينياً، فقد كان في التصوفية جبلاً رواسخ، وبطلاً ججاج، وهم لا ينتسبون إلى أهل البيت النبوي، كسيد الطائفة الجنيد، وأبي بكر الشبلي، وأبي القاسم القشيري، وأبي يعزى، وأبي مسدين الغوث، وأبن العربي الحائمي، وأبي العباس المرسى، وأبن عطاء الله ... رضى الله عنهم.

الفصل الثاني

في إبطال نسبة رسالة الشرف المحتم إلى الحافظ السيوطي

اعلم أن كثيراً من المؤلفات نسبت إلى غير مؤلفيها، على سبيل الخطأ. منها: كتاب الكنز المذوق والفنك المشحون، طبع مرات، منسوباً للحافظ السيوطي، لكنه تأليف الشيخ يوسف السيوطي المالكي، تلميذ الحافظ الذهبي. ومنها: كتاب الرحمة في الطب والحكمة طبع عدة مرات، منسوباً للسيوطي أيضاً. وهو تأليف الحكيم المقرئ مهدي المصري. وهذا الكتاب تتبعه بالتجربة صاحبنا المرحوم الشيخ محمد بن الأزرق الغماري الصديقي، فجرب ما ذكر فيه من الأدوية والوصفات من أوله إلى آخره، فلم يصح منه إلا وصف شربة واحدة. وعنها: مختصر تذكرة القروطي طبع مرات، منسوباً للشعراني. مع أن مؤلفه قرغ من تأليفه، وعمر الشعراني ست سنوات. وعنها: كتاب في تفسير الأحلام، طبع مرات، بهامش الجزء الأول من كتاب تعطير الأنام للشافعي، منسوباً لابن سيرين، لكنه لأبي سعيد الواعظ، وهو ذهبي نعت الكتب التي نسبت إلى غير أصحابها، لطال بنا الخاف. ورسالة الشرف المحتم، نسبت إلى الحافظ السيوطي. إما غلطاً وإما عمداً. لا نجزم بأحد الاحتمالين، لكننا نجزم بأنها ليست له، والدليل على ذلك أمور:

الأول: أنه ذكر مؤلفاته في كتاب حسن الخاضرة، وفي فهرسته. وهذه الرسالة غير موجودة فيهما.

الثاني: عزرو الحديث في أولها لأبي نعيم، وهو في الصحيحين. وهذه غلطة لا تقع في رسالة صغيرة: أتشت لموضوع معين، إلا من مؤلف لا يعرف الحديث. على أن الحافظ السيوطي عودنا في رسائله الصغيرة أن يفتتحها بذكر ما في الصحيحين أو أحدهما. نعم قد عزرو الحافظ ابن حجر أو الحافظ السيوطي حديثاً إلى شهر الصحيحين، وهو فيهما أو في أحدهما. إذا كان ذلك في مؤلف كبير، بشعب فيه البحث. ويتبع الكلام. أما أن ينسب رسالة صغيرة، لبحث خاص، ثم يغفل في عزو الحديث، فهذا لم يحصل.

الثالث: الخلاف المذكور في ثبوت التصحيف للشيخ الرافعي رضي الله عنه، لا يصدر

من الحفاظ السبوطي، لمناقضته كلامه في تعريف الصحابي في تدوين الراوي وغيره. وإنما يصدر من رجل لا يعرف في علم الحديث مثقال ذرة.

الرابع: أن الرقاعي رأى اليد الشريفة - على فرض ثبوت تلك القصة المكدوبة - ولم يقل أحد من علماء الحديث: إن الصحابة ثبتت بمجرد رؤية اليد. بل هم نفوا الصحابة عن رآه عليه الصلاة والسلام بعد وفاته، قبل دلتها إذا لم يكن رآه في خيال الحياة. فكيف يحكي السبوطي خلافاً لم يحصل؟ لم ما وجه تخصيص الرقاعي بالخلاف؟ مع أن تلك القصة المكدوبة تحكي أن اليد الشريفة، رآها كل من في المسجد النبوي. فإن كانت الصحابة ثبتت بهذا، فأولئك جميعهم صحابة، لا خصوص الرقاعي.

الخامس: نقله عن الحفاظ السخاوي، وبينهما تناقض كبير، وخصومة شديدة. فالسخاوي ترجم للسبوطي في الضوء اللامع، وحط عليه كثيراً، حتى وصفه بعقوق وأندنه، لتكسره عليها. وأنه سطا على المكتبة الغموضية، وأخذ منها مؤلفات، أحدث فيها تغييراً يسيراً، ونسبها إلى نفسه. والسبوطي كتب رسالة سماها (الشهاب النجدي في كيد السخاوي) (١) حط عليه فيها كثيراً، ووصفه بالجهل بعلم العربية، وكثرة اللحن. كما حط عليه في رسالة أنفها في نغمة خصبتي (٢)، وهي في سخاوي. وقال في المقدمة السندسية، يخاطبه:

قل للسبخاوي إن تعسروك مشكلك

علمي كسبحر من الأمسواج ملنظم

والحفاظ الذي (٣) غسيت الوجوه فسخسخت

غسرفسا من البسخسخر أو رشفسا من الدميم

(١) ويقتصر للسخاوي بعض الأدياء المعاصرين له برسالة سماها: المنتقد النوراني على المجتهد المذمى.

(٢) لفظ خصبتي مقصور. وقع في اشتغاف للقاضي عياض، وضبطه السخاوي بسكون الزاء، على أنه مشتق، فرد عليه السبوطي.

(٣) الحفاظ عثمان أتدعي بكسر الدال وفتح اللام، وقفت على نسخة من شرح نخبة الفكر، بخطه ذكر أنه نقله عن مؤلف الحفاظ ابن حجر. وهذا الشرح مطبوع، وهو مدفون قرب جامع ببيروت، بجهة الأزهر، وأحق أن أتدعي والسبوطي لا يبلغان رتبة السخاوي في الإيقان والتخصيص، ولا في علم الرجال والتاريخ، لأنه لازم للحفاظ ابن حجر أكثر من عشرين سنة، وقرأ عليه كتب الحديث والرجال. والسبوطي ثم يدرك الحفاظ، لكنه يخرج في علم الحديث بكتبه. ولم يتيسر له معاج الكتب الحديثة، فربها بالإنجاز، وقد عثر السبوطي على السخاوي، وإن كان هو في المتن أحفظ من السخاوي. ولا شك أن المكتبة المكدوبة كائن لها أكبر فضل على السبوطي، فبمناقضتها صال وجال، في ميدان العلوم التي كتب فيها، ولم يشك أنه أخذ كتاباً لغيره ونسبه إلى نفسه، إلا كتاباً واحداً مطبوعاً. ذكر لي شقيقنا الحفاظ أبو

فكيف يتقل السيوطي عن شخص يختص بمخاطبته بهذا الشعر؟ ومع هذا يؤخذ في المكتبات : كتاب مطبوع، يسبب للسيوطي - اسمه (آخر المنيع من القول البديع) وهو مختصر كتاب « القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفييع » للحفاظ السخاوي، وذلك المختصر ليس من مؤلفات الحفاظ السيوطي .

السابع : نقله عن الفراء، والسيوطي يعلم أن الفراء نحوي لغوي، لا صلة له بالحدیث وعلومه . وأظنه لا يجهل أن الفراء معتزلي، لا يعتقد الكرامات، ولا يعترف بالصوفية .

الثامن : استعماله في رواية القصة : حدثنا . والسيوطي لا يمكن أن يستعمل هذه اللفظة في الإجازة، لأنها كذب، وهو ثقة .

الثامن : أن السيوطي نقل هذه القصة في تنوير الخلق، بإمكان رؤية النبي والمثلث، عن بعض المجاميع . ولو كانت عنده مروية، لأسندها هناك . ولم ينقلها عن بعض المجاميع التي يعلم هو قبل غيره أن العلماء قرروا عدم الاعتماد على ما فيها، للجهل بمؤلفها . وأن الاعتماد إنما يكون على كتاب عرف مؤلفه بالعلم والأسانيد والثقة .

التاسع : قوله : وإنكار هذه المزية ومثلها، يؤدي إلى سوء الخاتمة . وذا من يحزم أن الحفاظ السيوطي لا يقول هذه العبارة أبداً، وإنما يقولها متصوف جاهل . لأن من المعلوم أن المعتزلة وبعض الأشعرية أنكروا الكرامات جملة . بل أكرر بعض المعتزلة معجزة انشقاق القمر وأولوا قوله تعالى ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [القمر : ١] على معجاز الأول (١) . ولا يستطيع عالم أن يزعم أن هؤلاء أو أولئك عاتوا على سوء الخاتمة .

العاشر : قوله : والذي أدبني الله تعالى به : أن السيد أحمد بن الرفاعي كان جيبلاً راسخاً . إلخ . وهذه الكلمة لا يقولها الحفاظ السيوطي، الإمام في علوم البلاغة، وإنما يقولها جاهل لا يعرف مواقع الكلام . إذ الواجب في هذا الموضع أن يقال : والذي ذراه .

لأن كون السيد أحمد الرفاعي جيبلاً راسخاً، محل نظر، ومجال رأي . فمن ثبت عنده ذلك بقرائن وشواهد، رآه واعتقده . ومن لم يشبته عنده، وأنكر ولاية الشيخ

∞ النبي ورحمه الله أنه رأى كتاباً في موضوعه بلفظه ومناه لعالم مشهور من القرن الثامن . قال : وتعميت حين رأيت كيف حصل هذا من الحفاظ السيوطي ؟ وأنكر لي اسم الكتاب ومز . وقد اجتلاه الله بآين طوله والدمشق أخبار على كثير من كبار فاضلة ما بها . وما . . . إلى . . .

(١) يقتضيه الهمزة وسكون الواو . أي المثال أن سيؤن إلى الانشقاق في آخر الإيمان . وهذا كقولہ ﴿ إني وأبني أنصبر حمراً ﴾ [يوسف : ٣٦]، أي : عصر عينا يؤن إلى صبر .

الرقاعي أو نكر وجوده من أصله؛ لم ينقص دينه. وقد نقل الحافظ أبو أحمد ابن عدي أن الإمام مالكاً أنكر وجود أويس^(١) القرني، مع أن الحديث فيه، ثابت في صحيح مسلم. فلم ينقص إنكاره إمامته. وإنما تستعمل تلك الكلمة، فيما يتصل بعقيدة دينية، كأن يقال: الذي أدين الله به أن عسقات المعاني ثابتة، أو أن خروج العصاة من النار بالشفاعة ثابت، أو أن المعاد الجسماني حق، وما أشبه هذا من المسائل التي لها صلة وثيقة بعقيدة المسلم. فهذه الأمور وغيرها، جزئنا بأن رسالة الشرف الشتم، ليست للحافظ السيوطي. والذي يظهر لي في شأنها أحد أمرين:

١ - إما أن يكون كتبها أحد المتصوفة من أهل القرون المتأخرة، وحيث كان مجهول الاسم والشخصية، نسبت إلى السيوطي، كما نسبت إليه المؤلفات المذكورة فيما مر.

٢ - وإما أن يكون أبو الهدي النصابي الرفاعي شيخ الطريقة الرفاعية، كتبها هو أو بعض أصدقائه، ونسبها إلى السيوطي ضماناً لروايتها.

فقد أخبرني شقيقنا الحافظ أبو الفيض رحمه الله تعالى: أن أبا الهدي المذكور، كان له جماعة أصدقاء، يكثرون له مؤلفات في مناقب الشيخ الرفاعي وكراماته وقصائده، ثم ينسبونها لعلماء في القرن الثامن أو التاسع. ومكنه اتصاله بالسلطان عبد الحميد، واستحوذه على عقله، من وضع تلك المؤلفات في مكتبات الآستانة. ثم يوزع إلى بعض أتباعه في الطريق بأن يطبع بعضها، ويخبره بأن نسخة خطية منه توجد في مكتبة كذا، تحت رقم كذا. وكان يقول: إنه من نسل الشيخ الرفاعي رضي الله عنه. وكان على جانب كبير من الذكاء وسعة الخيلة. وأنا أحيل إلى هذا الاحتمال، والقرائن عليه كثيرة من تصرفاته. من ذلك أنه جمع أربعين حديثاً مسندة، نسبها لرواية الشيخ أحمد الرفاعي، قراتها وهي مطبوعة. وفيها حديث (وأدبني ربي فأحسن تأديبي) وهو حديث شديد الضعف. والشيخ الرفاعي لم يكتب هذه الأربعين، ولا رواها، ولا تجدها ذكرها في مروياته الحديثية أو التصوفية. ولا في كسب الإنبات والقصاير، والله سبحانه ولعاني أعلم.

(١) هو خير التابعين كما صرح به الحديث، أي لأفضلهم. وقال الإمام أحمد: أفضل التابعين سموة بن المسيب. قال الحافظ العراقي: نزل الحديث ثم يصل الإمام أحمد أو لم يصلح عنده. وقال النووي: أفضل أويس بن زهدة وخليفته الله. وأفضلية سعيد بن كثره علمه وحفظه. وقول: أفضل التابعين الحسن بن أبي بصير. وقيل: حفصة بنت سيرين. قال بعض العلماء: لا شك أن الأفضلية على الإطلاق لأويس، اتباعاً للنص. وبالعلم النافع سعيد بن المسيب.

الباب الثاني

في التنبيه على كرامات غير مقبولة ولا معقولة

ما ذكر في مناقب سفيان بن عيينة

منها: أنه حفظ القرآن وهو ابن أربع سنين.

وهذا غير معقول، فإن الطفل يفتطم من الرضاع وهو ابن سنتين. قال الله تعالى ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الاحقاف: ١٥]، أي ستة أشهر للحمل، وعامان للرضاع. كما قال تعالى في آية أخرى ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [البقران: ١٤]، لم يتعلم النطق والمشى في عامين أيضاً. فهل كان سفيان يحفظ القرآن وهو يتعلم الكلام؟! بل أقل من يمكن للنسبي أن يحفظ فيه القرآن تسع سنوات. نعم. كان علماء الحديث، يحضرون أطفالهم في سن الرابعة أو الخامسة مجاناً في مساجد الحديث. التماساً للبركة، وطلباً لعلو الإستاذ.

وذكر الشعرائي في ترجمة سيدي محمد وفا الشاذلي

أنه ألف كتاباً في صباه، وهو ابن سبع سنين أو عشر، وهذا غير معقول أيضاً. لا سيما إذا علمت أن سيدي محمد وفا كان أمياً، لا يعرف ولا يكتب.

ومنها: ما ذكر في مناقب السيد عبد القادر الجيلاني

نفلاً عن والدته، قالت: لما وضعت ولدي عبد القادر، كان لا يرضع ثديه في نهار رمضان، ولقد غم على الناس هلال رمضان، فأتوني وسألوني؟ فقلت لهم: إنه لم يلتقم اليوم ثدياً. ثم اتضح أن ذلك اليوم من رمضان. واشتهر ببلدنا في ذلك الوقت أنه ولد للأشرف ولد لا يرضع في نهار رمضان.

وذكر في مناقب أبي السعور بن أبي العشائر

أنه صام في المهد. كذلك قيل في ترجمة الشيخ إبراهيم اندسوقي: أنه كان يصوم في المهد. وصوم الرضيع غير معقول، إلا أن يكون امتنع عن الرضاع لعلته. كما قال الله تعالى

في موسى عليه السلام ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ [القصص: ١٢]، فأنظر كيف عبر بقولته ﴿وَحَرَمْنَا﴾ لأن الرضيع لا ينسب إليه فعل، لعدم مجزؤه مع فقد الإدراك. فكيف يقال: أنه صام نهار رمضان؟ إن صح هذا، صح ما جاء في حديث موضوع: أن يوم عاشوراء تصومه الحيوانات.

ثم إن الكرامة هي الأسرار الخارقة الذي يظهر على يد رجل صالح في زمن التكليف. ويكون دليلاً على تحسكه بالشرعية، وعمله بأحكامها وآدبها. والرضيع غير مكلف، ولا عاقل.

فإن قيل: ألا يصح أن يقع الخارق للطفل، ويكون إعلاماً بأنه سيكون من الأولياء؟

فالجواب: صرح العلماء بأن الخارق قد يقع للنبي قبل نبوته. وسموه إرهاباً. وذلك مثل شق صدر النبي ﷺ، وهو عند مرضعته حنيفة السعدية، وعمره ست سنوات. ومثل إطلائ العمامة له، في طريقه إلى الشام، حين كان يتأجر لحديجة رضي الله عنها. وحصل عند ولادته عليه الصلاة والسلام خوارق. كل ذلك للإعلام بأنه سيكون نبياً يجب الإيمان به واتباعه. والنبي كما هو معلوم، تحوطه العصمة، ويؤيده الوحي. فكان من المناسب أن يصحب ولادته أو طفولته بعض الخوارق التي تلفت نظر الناس إليه.

لا تقع الكرامة لولي في طفولته

أما الولي فلا معنى لأن يقع له في طفولته خوارق. لأنه إذا بلغ وصار ولياً فلا يجب على الناس أن يؤمنوا بولايته، ولا أن يتبعوه إلا في حدود ما تأمر به الشريعة. ثم هو ليس بمعصوم، ولا يأتيه وحى. وقد يكون الشخص في بداية أمره منغمساً في المعاصي، ثم يتوب ويستقيم، فينال الولاية. وقد يكون ولياً، ثم يحصل منه ما يوجب سلبه، فتسلب الولاية عنه، ويعود من عوام المسلمين كما كان. وأنا أعرف شخصاً دخل الخلوة^(١) ولزم الأذكار والجاهدة، حتى فتح عليه، ونال الولاية. فتعجلى الأمر، وتصدر للمشيخة، وأساء الأدب في حق شيخه. فسلب وعاد كما كان مريداً، فانسية بعض الخوارق إلى بعض الأولياء في طفولتهم، ككذب لا مسوغ له.

(١) في زاويتنا الصديقية بطنجة. وولاه مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه برعايته في خلوته. فلما فتح عليه جاء يستأذنه في الذهاب إلى بلدة فاس. فأسبوه أن هذا أول للفتح. وأن إمامه مستأذناً لابد له من اجتيازها، فأصر على رأيه، فأذن له. فذهب وحصل له هناك أشياء مع الإخوان. وأدعى المشيخة واستأذن على منصبه شيخه. فسلب وعاد إلى طنجة، فأمر مولانا الإمام الوالد بمزاولة التجارة.

ومنها: ما حكى عن الشيخ أحمد بن الرفاعي رضي الله عنه

أنه كان إذا تجلى الحق تعالى عليه بالتعظيم، يذوب حتى يصير بقعة ماء. ثم يتذكر أنه المذوق، فيصير بجسم شيئاً فشيئاً، حتى يعود إلى جسمه المعتاد، ويقول: لولا لطف الله بي، ما رجعت إليكم. هذه خرافة، لا يتقبلها عقل سليم. وأي عقل يصدق أن جسم الإنسان يتحول إلى بقعة ماء، ثم يعود إلى طبيعته؟ إن هذا محال، والكرامات لا تخرج عن دائرة الإمكان. والذين يحكون هذه المستحيلات، غير مدركين ما فيها من مناقضة لقضايا العقول، يفتحون على أنفسهم وعلى الأولياء باباً للظعن الشديد، والهزؤ المديد.

ومنها: ما حكى عن الشيخ السيد عبدالرحيم القناوي الغماري رضي الله عنه

أنه نزل يوماً في حلقته شيخ من الجن. لا يدري الحاضرون: ما هو؟ فأتى الشيخ ساعة، ثم ارتفع الشيخ إلى السماء، فسأله عنه؟ فقال: هذا ملك، وقعت منه هفوة. فسقط عبقنا، يستشف بنا. فقيل: الله شفا عتنا فيه، فارتفع^(١).

هذه الخرافة، ضعفها الشعراني في الطبقات، حيث حكاه بصيغة التثنية. وقد ذكر في مقدمتها: أنه مثل فيها مسلك المحدثين. فما كان من الحكايات والأقوال صحيحاً: حكاه بصيغة الجزم. وما كان منها غير صحيح، حكاه بصيغة التثنية. لكنه لم يلتزم هذه القاعدة، إلا في مواضع قليلة من طبقاته، وفي كثير منها حكى بصيغة الجزم ظاهراً، كأنها من القضايا المسلمة. وذلك لغلبة التساهل عليه، مع حب تفخيم الأولياء، وإعلاء شأنهم بين العامة.

بحث في الملائكة عليهم السلام

هذا وانقرر عند جمهور المحققين في شأن الملائكة عليهم السلام، ما يأتي:

١ - أنهم سئل، لقوله تعالى: ﴿جَاعِلُ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١]، وهذا عموماً يشملهم جميعاً. وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَلِفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، من الدخلة على الملائكة للجنس، والدخلة على الناس للتبعية. ولأن الله تعالى جعل الإيمان بهم ركناً من الإيمان، مثل الرسل.

٢ - أنهم معصومون، لقوله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (١)

(١) قد يكون ذلك أشبه جنى، جاء من جهة السقف، يستشف به.

[التحريم: ٦]، وهذا وإن كان وارداً في خزنة جهنم، يشتملهم جميعاً. إذ كانوا كلهم مخلوقين من عنصر واحد، وهو النور. ولأنه لم يحجر ذكرهم في القرآن إلا مقروناً بمدحهم وإنشاء عليهم. وقصة هاروت وماروت غير صحيحة، كما بيناه في قصة إخرس عليه السلام.

٣ - أنهم أفضل من البشر جميعاً إلا الأنبياء عليهم السلام. وعقيدتي: أنهم أفضل من الرسل والأنبياء أيضاً إلا ثلاثة: النبي ﷺ، وإبراهيم وموسى عليهما السلام، فهؤلاء أفضل من الملائكة عليهم السلام.

إذا تقرر هذا فكيف يعقل أن يهتقوا ذلك معصوم؟ ثم يشفع فيه ولي غير معصوم؟ وكيف علم الولي أن الله قبل شفاعته؟ إن الذين يقولون مثلي هذه الحكاية، نيراعوا وثناً فوق منزلته، ينزّلون ملك عن رتبته. يجب أن يعلموا أن الملائكة عباد مكرمون، كما وصفهم الله تعالى. وإن إلحاق نقص بأحدهم حرام، كالإلحاق بأحد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ومنها: ما حكى من الشكرامات، في مناقب السيد احمد البدوي. وقيل ان تذكر بعضها، تذكر لبدة عنه، يقتضيها المقام.

فكرة الأقطاب الأربعة لا أصل لها

لقد اشتهر في مصر، فكرة الأقطاب الأربعة، وأن السيد البدوي أحدهم. ولا ندري عسندهم في هذه الفكرة، وفي التصرفية أقطاب يتوقفون هؤلاء الأربعة، مثل سيدي عبد السلام بن مشيش وتلميذه أبي الحسن الشاذلي^(١)، وأبي مدين الغوث وتلميذه ابن العربي الحاتمي، وسيدى عبد العزيز الدباغ، مملى كتاب الإبريز على تلميذه الإمام العلامة الخفيف الشيخ أحمد بن المبارك النعماني. وهذا القلب الدباغ طراز غريب في أقطاب الأمة

(١) قال القطيب شمس الدين محمد الخفيف رضي الله عنه: وجدت مقام سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه أعلى من مقام سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه. يسبق، إن سيدي عبد القادر سقى روما عن شيخه؟ فقال: أما قوماً مضى فكان شيخاً حماداً الفاضل، وأما الآن فإني أشتى من بحر بن: بحر النبوة، وبحر الفتوة، يعني بحر الفتوة عن أبي طالب رضي الله عنه. وأما سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه فحقي له من شيوخه؟ فقال: أما قوماً مضى فكان شيخاً فكان سيدي عبد السلام بن مشيش، وأما الآن فإني أشتى من عشرة بحر: خمسة مساوية، وخمسة أرضية. قلت: ولا شك ان مقام سيدي عبد القادر الجيلاني. أعلى من مقام بقية الأربعة. على أن السيد البدوي لم يقطب كما يأتي بيانه.

الحمدية. فهو مع كونه أمياً، أعطى من حقائق العلوم والمعارف ما يدهش كبار العلماء والمعارفين. توفي وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة رضي الله عنه، ولوطاً عمسه، لرأينا من علومه العجيب العجيب (١).

ثم كون السيد أحمد ألبندوي أحد الأقطاب الأربعة، ليس بصحيح. بل هو لم يبلغ درجة التقطباتية وقد قلت هذا في بعض دروسى التى ألقيتها فى شرماساخ، من إندهلية (٢).

أحمد ألبندوي، مجذوب وليس بقطب

وأضفت: أنه مجذوب فعارضنى الحاضرون، وكان أكثرهم معارضة، شيخاً أزهرياً، معتر على الشيخ الإسماعيلي. ولم يكن لهم من حجة، إلا ما سماع عند الناس من كراماته ومناقبه. لكن ما أفوته، يؤيده التبحر العلمى البعيد عن العاطفة والتعصب. وإليك البيان:

أما أنه لم يبلغ رتبة التقطباتية، فلأنه لم يسلك على يد شيخ مرمى. غير أنه لما كان بغاس، وعمد ست سنوات، أخذ أخوه الأكبر السيد حسن الطريق عن الشيخ تيداجليل ألبندوي، وأحضره معه إلى الشيخ، فأخذ عنه تبركا، ولا يعرف له شيخ غير هذا.

وأما أن مجذوب فذلك مستند من ترجمته. فقد ذكر الذين ترجموه وهم الشيخ عبد الصمد زين الدين، وتقى الدين المقرئى، والشعراني، والحفاجي وغيرهم: أن أخاه

(١) رأيت فتاوى الخواص التى جمعها الشعراني. ورأيت كشفاً للربان عن وجه أسئلة الأجانب، للشعراني أيضاً، لكن كلام الديباغ أعلى، وأجوده أدق.

(٢) فى شهر رمضان سنة ١٣٥٧ هجرية. ولما حصل فى تلك الليلة أن أهلياً طليباً منى درسا فى شرح قصة الإسراء والمعراج، فالتقيته، وذكرت فيه أن جبريل كان يركب الأبراق مع النبي ﷺ. فعارضنى ذلك الشيخ أيضاً وادعى أن جبريل كان ممسكاً بتركك. فلما كان فى غير صحيح، وأمر على قوله، ولم يكن معى كتاب، فسألت: من يوجد فى اللمة مكتبة فيها بعض كتب الحديث والتفسير؟ فأخبرنى الحاج عبد الحاق إبراهيم الأزهرى: أن المتصورة يوجد بها مكتبة البديعة، وكان أتوقت ليلاً فاتفقت أن نذهب إليها صياحاً، وكان معى عظيم أزهرى، فوجس بى نفسه خيفة، وسألنى تلى أفراداً هل ثبت وأتى لما تقول؟ قلت: نعم، كما أثنى بوجوده معى، وفى الصباح ذهبنا إلى المتصورة ودخلنا المكتبة، وطلبت كتاب فصح البازى بشرح صحيح البخارى، فلوقت الحاج عبد الحاق على أخذت الكتاب، فادعى أن جبريل كان يركب الأبراق مع النبي ﷺ. فكتبته وأطلع عليه ذلك الشيخ فسكت. وقصة المعراج فيها أشياء دخيلة تحتاج إلى بحث وتحقيق.

الأكبر السيد حسن أدخله المكتبة بمكة، فمحفوظ القرآن مع ابنه الحسين. فلما حدث له حادث الوفاة تغيرت أحواله. واعتزل عن الناس، ولازم الضممت. فكان لا يكلم الناس إلا بالإشارة. ولما ذهب إلى طهطا، أكثر من الصياح ليلاً ونهاراً. ودخل دار شخص من أهل طهطا، فسمعه. فدخل إلى سطح داره، وكان منزل نهاره وإقامة قائه؛ شاخصاً بصره إلى السماء، وقد انقلب سواد عينيه حمرة تتوقد كالخمر. وكان يمشي الأربعمائة يوماً لا يأكل ولا يشرب ولا يتنعم. ثم نزل من السطح وخرج إلى غيابة الخنارة، فتبعه الاطفال، كما يتبعون المجاذيب. ثم لزم السطح، إلى أن مات. وكان إذا لبس عمامة أو ثوباً لا يخلعه لغسل ولا لغسره، حتى يشرب، فيسبلونه له بغسره. وقد سمي بالسطوحى؛ لغزومه سطح دار ابن شحيط، وسمي أصحابه بالسطوحيين. وهذه الأحوال، تؤكد أنه مجذوب^(١). لأن القطب لا يصيح، فضلاً عن أن يكسر الصياح، ولا يزوم سطح دار، ولا يمشي الأيام والليالي ينتظر إلى السماء. بل هو يحافظ على الصلاة في وقتها، مع حضور الجماعة والجمعة. ويستحم ويغسل ثيابه إذا انسخت، ويلبس الثياب النظيفة. وإذا نزل ضيفاً على شخص، لا يمشي عنده أكثر من ثلاثة أيام، مدة الضيافة؛ ولا يتخذ بيت مضيفه مركزاً له ولا صاحباً له. وإذا أراد أن يسكن ببلد، فإنه يستأجر فيه بيتاً أو يشتره. ويتقاعد من شيوخ البلد وأمثالهم، لأنهم لا يخلون من ظلم بعض الناس. وإذا أتاه واحد منهم، نصحه ورعظه برفق. هذه هي أحوال القطب الذي هو على قدم النبي ﷺ. واقراً سير الأقطاب، وكمل الأولياء. فلا تجد واحداً منهم أدخل بأحكام الشريعة أو تهاون فيها، أو اعترته حالة غاب فيها عن المشهور أياماً وليالي، أو اتخذ سطحاً مقراً له، أو احتل داراً من غير استئذان صاحبها إلى غير ذلك من أحوال المجاذيب.

بعض كرامات البدوي

ويؤيد ما قلناه؛ هذه الحادثة: جاء الشيخ محمد المسمى بقدر الزاوية إلى هذا، فعلم أن السيد أحمد البدوي مريض، فدخل عليه يزوره، وكان الشيخ عبد العال غائباً. فوجد السيد أحمد قد شرب ماء بظيخة، وثقايه فيها ثانياً؛ فآخذه الشيخ محمد المذكور وشربه، فقال له السيد البدوي: أنت قمر دولة أصحابي. فلو كان قطباً، لما مكنته من شرب النقي. بل كان ينهاه عن شربه، ويبين له أن شرب النقي حرام؛ لأنه نجس. لكنه

(١) ومثله في المغرب سيدي علي بن حمدوش، كان شريفاً مجتهداً. وله اتباع يعرفون بالحمدوشية، فهم زوايا في اتجاه المغرب. وفي حالة حضرة الذكر يقرعون رؤوسهم بالثوابير. أي السواطير.

مجدد وبه يستحسن ما هو حرثه، غير مدرث حرثه. ولما نقلوه من كراماته: إن الإمام
تقي الدين بن دقيق العيد قاض القضاة بالندى في العصرية^(١). سمع بالشيخ وأحواله.
فذهب إليه بطنطا واجتمع به. وقال له: يا أحمد هذا الحال الذي أنت فيه، ما هو
مشكور، فإنه مخائف للشرع الشريف. فإليك لا يصلي^(٢)، ولا تحضر الجماعة، وما هذه
طريقة الصالحين. فالتفت إليه السيد أحمد البدوي وقال له: اسكت، وإلا أطير دققتك.
ودفعه دفعة، فلم يشعر بنفسه إلا وهو في جزيرة واسعة، لا يعلم لها طول ولا عرضا.
فأقبل يلوم نفسه ويعاتبها، وهو ذاهل العقل، غائب عن الصواب. ويقول: مالي
ومعارضة أولياء الله تعالى؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وصار يبكي
ويستغيث، ويتهل إلى الله تعالى. فبينما هو كذلك، ظهر له رجل ذو هبة ووقار.
وسم عليه فرد عثية السلام. وقام إليه، وجعل يقبل يديه ورجليه. فقال له: ما
قضيتك؟ فأخبره بخبره. فقال له: لقد وقعت في أمر عظيم. أتدري كم بينك وبين
القاهرة؟ قال: لا. قال: والله بينك. وبينها سفر ستين سنة - لعله يقصد بسفر
السفحاة!! - فأرداهما عليهما، وغما عليهما، وكبر في قلبه اخروص. وقال: يا
تري من يختصني من هذه الورطة؟ إن الله وإن إليه راجعون. وأقبل على الرجل يقول له:
أرشدني برحمتك الله. فقال له: هون عليك الأمر، غما يحصل لك إلا الخير إن شاء الله
تعالى: قال: وكيف لي بذلك؟ فأخذ بيدوه وأراه قبة كبيرة. وقال له: ترى هذه القبة؟
أذهب إليها، وأجلس فيها. فإن سيدي أحمد البدوي يصلي فيها العصر بجماعة من
الرجال. ويودعون ويتصرف كل منهم إلى حال سيته. فإذا صليت معهم، فتعني به،
وتماق بين يديه، وقبل يديه ورجليه. واكشفت رأسك، ونادى معه. وقل له: استغفر الله
وأتوب إليه. ولا أعود لما صدر مني. فإذا رأى منك ذلك، فإنه يقبل عليك، ويردك إلى
موضعك إن شاء الله تعالى. وكان ذلك الرجل، هو الفقير عليه السلام. فذهب الشيخ
تقي الدين بن دقيق العيد إلى القبة، وجلس فيها. فما كانت إلا هنيهة، حتى أقبلت
الجماعة من كل جانب ومكان. وأقيمت الصلاة، فتقدم السيد أحمد البدوي، وصلى
بهم إماما. فلما انقضت الصلاة، تعلق به ابن دقيق العيد. وكشف رأسه، وجعل يقبل

(١) نقله عن مذهب مالك وإنشاه من ثم بلغ رتبة الاجتهاد المطلق، وكان حافظا للعديد. لكن حياته

ياثرون أكثر من عتبه بالاسانود، لأجل الاستباحت وعدوه في المحدثين.

(٢) تأمل هذه الجملة، وتذكر هل سمعت بأن قطبا لا يصلي؟

يذيه ورجليه . ويهكي ويستغفر ويمتذر . وأتصف من نفسه . فاقبل عليه السيد أحمد البدوي، وقال له : ارجع عما كنت فيه، ولا تعد إلى مثله (١) .

فقال له : السمع والطاعة يا سيدي . فدفعه دفعة لطيفة، وقال : اذهب إلى بيتك، فإن عمالك في انتظارك . فلم يشعر ابن دقيق العيد إلا وهو واقف بباب داره بمصر . فاقام مدة ببسته لا يخرج منه، لما جرى له مع السيد أحمد البدوي . حكى هذه القصة الشيخ محمد الصمد زين الدين في التراجم السنية، عن شمس الدين محمد المعروف بالخلعي، عن زين الدين ابن النقاش : المكنى بأبي هريرة، وهي قصصة مكذوبة . والغرض من صياغتها أمران :

١ - تعريف الناس أن السيد البدوي إذا كان لا يصلي ولا يحضر الجماعة في مساجد طنطا، فإنه كان يصلي إماما بجماعة من الرجال، في جزيرة واسعة تبعد عن مصر بمسافة ستين سنة (١) .

ولعل تلك الجزيرة من جزر واق للواق . أو تقع خلف جبل فساد (١) . فلا يصح الاعتراض عليه بأنه لا يصلي، ولا يحضر الجماعة .

٢ - أن من يعترض عليه، يناله العقاب السريع . ولو كان في اعتراضه مستحسنا بالشريعة . وهذا خلاف ما صرح به الصوفية، حيث قالوا : من اعترض على ولى لتقصيره في بعض أحكام الشرع، أو خروجه عليه . فلا يستطيع ذلك الولي إذايته، لا بدعاء عليه، ولا بكرامة .

وهذا الحسين بن منصور الحلاج، لما حكى العلماء بقتله، لما صدر عنه من عبارات كفرية . وإراد أن يمتنع من تنفيذ أحكام بإظهار خارق، قال له بعض الصوفية : سلم حكم الشرع . فسلم، وقتل عفيا لله عنه . والصلوة أهم أركان الدين، سمي النبي ﷺ تاركها كافرا . وحضور الجماعة واجب، لا رخصة في تركه إلا لضرورة ملحة . جاء أعمى يستأذن النبي ﷺ أن يرخص له في الصلاة في بيته، لأنه ليس له قائد، فرخص له . فلما ولى، دعاه فسأله : « هل تسبح النداء؟ » قال : نعم . قال : فأجب ! ولم يرخص له (٢) .

(١) انذرى ما كان فيه؟ كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، مع تقوى واستقامة، والوقوف على حدود الشريعة وعدم تعديها .

(٢) وكان الربيع بن خثيم يأتي مسجد الجماعة يهادي بين رجلين لرضه . فيقول له الناس : إن الله قد رخص لك، فيقول : فماذا أصنع في منادى ربي وهو يقول : حي على الصلاة؟

وكذلك الجمعة، فرجعت بالقرآن، وقال النبي ﷺ «من ترك ثلاث جمعيات متواليات من غير عذر طبع الله على قلبه» فكيف يصح لولي أن يترك الجماعة والجمعة^(١) بدعوى أنه يحضرها في بلد يبعد عن بلده ستين سنة؟! ثم إذا نصحه إمام مثل ابن دقيق العيد مجدد القرن السابع، يقال له: تب إلى الله ولا تعد! ثم يتوب إلى الله؟ من النصيحة التي جعلها النبي ﷺ ديناً، حيث قال: «الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» والعجيب أن يظهر له الخضر عليه السلام فيمهرل عليه الأمر ويبين له عظم ما أتاه، حيث نصح السيد البدوي!!! ويشير عليه بأن يذهب إلى السيد البدوي ويتعلق بأذياله، ويكشف رأسه ويقبل يديه ورجليه!!! لأنه لم يكن يعلم أن السيد البدوي أعلى من أن تقدم له نصيحة، وأرفى من أن يوجه إليه لوم. تكن صانع القصة، لم يكن يعرف خلق الإمام تقي الدين بن دقيق العيد، فقد كان عاقل الهمة، أبي النفس^(٢). تكسوه عزة الإيمن، ويعلمه وقار العلم. لا يمكن أن يتعلق لاحد، أو يقبل رجليه ولو كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ثم كيف يأمر الخضر عليه السلام الإمام ابن دقيق العيد بالتعلق بغير الله تعالى؟! وهو... أعني الخضر عليه السلام... يعلم أن الله بعث إليه موسى عليه السلام، تكريماً له لفضل علم عنده. فكيف يصغر العلم في شخص الإمام ابن دقيق العيد وهو عالم ممتاز يقل مثله في علماء الأمة المحمدية؟! والحاصل أن في القصة تغيرات، نقضي بأن صانعها لم يتقن صياغتها. ولو فرضنا صحتها، فهي أدل دليل على أن السيد البدوي كان مجتهداً، إذ تصرح بأنه كان لا يصلي ولا يحضر الجماعة، وأن حاله مخالف للشرع. وأنه أجاب الإمام ابن دقيق العيد بقوله: «سكنت وألا أطير دقيقك». وهذا جواب جاف، لا يصدر من شخص في حان وعيه وتعام عقله. وهكذا كلما أراد المتعالمون أن يرفعوه إلى مصاف الأقطاب، صاغوا له من الكرامات، ما يقضي بأنه من أكبر الخيالات.

(١) وكيف يترك الصلاة في مسجد يسمع نداء، وتجب إجابته؟ ثم يصليها في مسجد لا يجب عليه الالتفات إليه، ولا يطالب بالصلاة فيه. وقد غرر العلماء أن الولي إذا كان فقيراً لا يملك الزاد والراحلة، لا يجب عليه الخلع. وهو كان يستطيع بطريق طبي المكان، أو الخطوة كما يقال، لأن التكليف إنما يتعلق بالأفعال المتعددة لا بالخواص.

(٢) مما يدل على إباء نفسه وعزتها: أنه لعب مرة الشطرنج... وهو شاب حدث... مع صهره وكان من العلماء، وحضر وقت الصلاة فصلياً. وبعد انتهاء الصلاة، سأله صهره: أتلعب ثانية؟ فأجابته: نعم، وأنت!

وكانت اللعبة لها حاضرة

إن عادات المغرب عندنا لها

فترك الشطرنج من ذلك الوقت، ولم يعد إليه.

قصة مع فاطمة بنت برى

واختلفوا له قصة مع فاطمة بنت برى بأرض العراق، ذكرها عبد الصمد زبن الندين في الجواهر المستوية، والخفاجي في النسخات الإجمالية. وهي قصة طويلة، فيها عبارات غير معقولة^(١) بل ذكروا في رحلته للعراق خوارق، لا يعقلها العقل. فلا أدري كيف حكاهما أو نقلها المتأخرون مصدقين لها؟

وذكروا أن الإمام تقي الدين ابن دقيق العيد أيضاً كلف الشيخ عبد العزيز الديري أن يذهب إلى السيد البدوي، وقال له: امتحن لي هذا الرجل الذي اشتغل الناس بأمره، واعتاد مسائله يمتحنه بها. فاجاب عنها بأحسن جواب، وقال: هذا الجواب مستطير في كتاب الشجرة، فوجدوها في الكتاب كما قال. لكن ما هو كتاب الشجرة؟ وما موضوعه؟ وأين يوجد^(٢)؟ نعله يوجد في تلك الجزيرة التي دفع إليها الإمام ابن دقيق العيد؟ ويزيد بعضهم في هذه الحكاية: أن الشيخ عبد العزيز الديري لما دخل على السيد البدوي قال له قبل أن يتكلم: سلم على قاض القضاة، وقل له: يصلح غنظا في المصحف الذي عنده معلقا في صدر البيت، غنظا في سورة يس، وغلظا في سورة الرحمن. ولما رجع المصحف^(٣)، وجد الأمر كما قال! وذكروا أن امرأة أسر ولدها في

(١) لم نقلها مستقلاً لما فيها من مجمع سمج، وكذب مخيف.

(٢) من أنواع علوم اللغة: الشجر، كتب فيه كثير من أسماء الأشجار، سموها بأشجار الدرهم منهم أبو الطيب عبد القوي بن عفي اللغوي. قرأت كتابه بخط السيوطي. وموضوعه مدخلة الكلام للسامي المختلفة. مثل ألون عين الشمس، والشمس شمس الخيل، ونخل ألوم، وألوم نخل الكبر، والنخل دابة من دواب البحر، والبحر آلة القلع، والملاح الحربة والحربة ما كان يلائم حراماً على غيره، وحرام حي من العرب، وألحى ضد الميت. ويتضرورة هذا غير مقصود في كلام السيد البدوي، كما أنه لم يقصد الكتاب الذي تضمن على شجرة النسب.

(٣) وهي من المقول: أن يكون في مصحف الإمام ابن دقيق العيد غلطتان وهو المجهول الذي يستحيط بالأحكام من الكتاب والسنة، ثم لا يعرف تلك الغلطتين، حتى يذهب عندهما مجذوب؟ ومثل هذه الحكاية ما يحكي عن الشيخ الأنباري: أنه كان يدرس التفسير بالأثر، ووصل إلى قوله تعالى ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، فقرأها أذنها وهو نائم؟ وكتب كراسة في ترجمه هذه الجملة. ولما جاء إلى الأثر صباحاً، قرأ المأثور الآية، التي هي موضوع الترمي، سمعها الشيخ صاحبها فأدرك أن ما كتبه مبني على تحريف الآية ثم يعلم به إلا في تلك اللحظة، وأجل الدرس إلى اليوم انشأ، فهذه الحكاية واضحة البطلان. قصه بها خصوم الشيخ الأنباري التذكري عليه. كما قصد السطوحيون بفتن الحكاية لتشجيع على ابن دقيق العيد.

الحرب الصليبية، فلجأت إلى السيد البدوي، فأثارتها به في قيوده. وقد اشتهرت هذه الحادثة في مصر، حتى صاروا يقولون: الله الله يا بدوي جانب اليسرى.

أي جانب الأسمري. وذكروا أنه نقل أسرى بعد وفاته أيضاً، وهو كذاب بل ذكر بعض الناس الذين لا يتقون الله: أنهم كانوا يرون السيد البدوي يخرج من قهره، فيتلقي بيده بعض القنابل التي ألقتها الطائرات الألمانية أو الإيطالية خطأ في الحرب الأخيرة، ويضعها في مصرف، حتى لا تنفجر!! وحكايته مع ابن اللبان حول بها المتغالبون ووطنطنوا مع أنها كذب مكشوف. وحاصدها:

أن العلامة شمس الدين محمد بن اللبان، حضر من دمشق إلى القاهرة في مهمة واستقبله قاضي القضاة بمصر، واحتفى به. وبعد صلاة العشاء، خرج هو وقاضي القضاة بمسيان في بعض شوارع القاهرة فلقيا رجلاً من أتباع السيد البدوي، يذكر ويقول: السلام عليك يا رسول الله، والسلام عليك يا أحمد يا بدوي. فحجبت ابن اللبان، والتفت إلى قاضي القضاة، يسأله عن هوية ذلك الرجل الذي يصيح بالليل في الشوارع، ويشرك شيعته في السلام مع رسول الله ﷺ؟ فطمس قاضي القضاة بعض العذر لذلك الرجل. ولكن ابن اللبان، قال: يجب تأديبه وتعزيره. فلما نام تلك الليلة، رأى في منامه، كأن سقف الجامع قد انشق، ونزل منه شخصان. جلس أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجله. فقال الأول: نسليبه الإيمان، فرد عليه الآخر: لا، بل نسليبه العلم والقرآن، وتبقى عليه الإيمان، فإنه وقع في حق سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه. ثم أمسكه الرجلان فسواه هذا شديداً، فطمس الله على قلبه، وانزع العلم والقرآن من صدره! فأصبح لا يحفظ آية من القرآن، ولا يعرف مسألة علمية. وحضر الناس لصلابة الفجر، فاعتذروا لهم، فصلوا وانصرفوا. ولما طلع النهار، أخبر قاضي القضاة بما حصل له بسبب ذلك الرجل الأحمدى! فعرض عليه قاضي القضاة أن يحضر له الفقراء الأحمدية، يعتذر إليهم ويسترضيهم. لكنه اقترح أن يذهب بنفسه إليهم في زيارتهم. فلما وصلا إليهما، وقبلا أحد الفقراء الأحمدية. قال لهما قبل أن يكلمهما: والله يا محمد ما بيدي حل ولا ربط فمسأله قاضي القضاة: ما الخير؟ قال: سلب القرآن والعلم. فقال له قاضي القضاة: يا سيدي لوجه الله. وصار يتذلل له، وابن اللبان يبكي، فرق قلب الأحمدى. وقال لابن اللبان: تنسب إلى الله تعالى؟ قال ابن اللبان: نعم ولا أعود لنسبها. قال الأحمدى: سافر إلى سيدي باقوت العرش بالإسكندرية، فإنك تلحق الفرج على يديه إن

شاء الله تعالى (١). فمافروا إلى الإسكندرية، ودخل على ياقوت العرشي في زاويته. فلما رآه، قال له: يا شمس الدين ما الذي أوقعك في هذه الورطة العظيمة؟! اذهب وتوضأ وصل، فغفرت لك ذنوبك. فإنه نسي القرآن. فأمره الشيخ أن يشتغل بالذكر. وبعد ثلاثة أيام، رأى في المنام النبي ﷺ، جالسا على كرسي عال من نور، والأنبياء كلهم على كراسي. والسيد البدوي واقف بين يديه، وهو يقول له: يا أحمد لا جلتا طيب خاطرك على محمد بن النبيان، ثم انتفتحت إلى ابن النبيان، وقال له: أما علمت أن من أولياء الله تعالى من هو تحت جناحي الأيمن، ومنهم من تحت جناحي الأيسر، وأحمد البدوي تحت جناحي الأيمن. فاستيقظ ابن النبيان، وأسرع إلى باب الخلوة. فوجد الشيخ ياقوت العرشي واقفا يهدر، وله زئير كالأسد! وقال له: يا محمد أبشر فقد قضيت حاجتك. فإني سقت عليه جميع الأولياء، فلم يقبل. فسقت عليه سيد الأولين والآخرين ﷺ، وقد رأيت بعينك.

فمافروا الآن إلى طنطا، وطلب حول صندوق سيدي أحمد البدوي (٢) وأقيم عنده ثلاثة أيام، فإن حاجتك قد قضيت. فذهب ابن النبيان إلى طنطا. وأقام عند ضريح السيد البدوي ثلاثة أيام، يطوف ويبكي ويتضرع. وفي الليل، ينام عند رجله. وفي الليلة الثالثة، رآه في المنام. يقول له: لا تعد لمثلها، فوالله لو لا جدي رسول الله ﷺ، لعلمت أنك الإيمان! ثم وضع يده على صدره، فعاد إليه حاله وعلمه! ولما استيقظ ابن النبيان وجد نفسه يحفظ القرآن، ويعرف العلم كما كان!!

هذه قصة ابن النبيان، لعن الله من اختلقها، فقد كان وقحا قليل الأدب. لا يعرف قدر النبي ﷺ، ولا يحمله الإجلال اللائق بمقامه العظيم.

ثم ماذا فعل ابن النبيان حتى استحق هذا العقاب؟ أنه أنكر على الفقير الأحمدى أمرين منكبين:

(١) في رواية ذكرها الشعرائي في القصائد أن الشيخ ياقوت العرشي ذهب إلى السيد البدوي، وكذبه في القبر وجانبه! وقال له: أنت أبو الفتحة، رد علي هذا المسكين رسالته... أي رأس مثله - فقال: بشرط الشوجة. فتاب ورد عليه رسالته. بعد أن دثر ابن النبيان على الأولياء. فلم يقدّر أحد منهم أن يدخل في أمره إلا العرشي! والرواية التي أوردناها، ذكرها صاحب الجواهر السنية، والقصص، بين الروايتين، ذنب على الكذب.

(٢) كيف يأمره العرشي بالظروف، يقول الضريح؟ وكيف قيل ابن النبيان هذا الأمر المخالف للشرعية؟

١ - إشراف شيخه مع النبي ﷺ ، في الإسلام.

٢ - صباحه بعد صلاة العشاء، وهو وقت نوم الناس وراحتهم. وإذا نهى العالم عن منكر، أو أمر بمعروف، أو نبه على خطيئة، فإنه يستحق الشكر والتقدير، لا العقاب والتعزير، لكن يظهر أن المفاهيم انتقلت عند أهل الطريقة الأحمدية وشيخهم، فهم يرون انتصبة دعا، ويعتسرون التنبية على خطيئة بفتح من أحدهم، وإزاء بهم ويدعيهم. فلذلك يفتنون حكايات تخير بنزول العقاب الشديد السريع، على من وجه نقداً إلى السيد البدوي أو أحد أتباعه. مثل هذه الحكاية، وحكاية ابن دقيق العيد.

ومثل ما حكوه: أن شخصاً أنكر حضور مؤند السيد البدوي الذي يقام بطنطا كل سنة: فسلب الإيمان؛ فلم تكن فيه شجرة تخن إلى دين الإسلام. فاستغاث بسيد أحمد البدوي! فقال: بشرط ألا تعود! فقال: نعم. فرد عليه ثوب إيمانه! ثم قال له: وماذا تنكر علينا؟ فقال: اختلاف الرجال والنساء^(١).

فقال له السيد البدوي: ذلك واقع في الطوائف، ولم يمنع أحد منه. ثم قال: وعزة ربي ما عصى أحد في مؤندى إلا وقاب وحسنت توبته. وإذا كنت أرعى ألوحوش والسمك في البحار! مسيهاً من يعضها، أفيحيزني الله عن سماية من يحضر مؤندى؟ وفي هذه الحكاية أشياء: تعذر دين السيد أحمد البدوي، وثبت نقص إدراكه. فإن سلب الإيمان عمن ينتقده. معناه: أنه يجب لمنقده الكفر، ويرضى له به. ومحبة الكفر، أو الرضا به، كفر. وقد نص العلماء على أن كافراً لو أتى إلى خطيب بخطيب الخسعة، وقال له: أريد الإسلام. وجب على الخطيب أن يثبته الشهادة في الحال. ولو قال له: أنتظر حتى تنتهي الخطبة كفر. لأنه رضى بقاءه على الكفر مدة الخطبة. فانتظر كيف نسب المتغالبون الكفر إلى السيد البدوي وهم لا يشعرون! هذا إن فرضنا صحة ما حكوه من سلب الإيمان. وإلا فإن الإيمان لا يقدر على منبه أو إثباته السيد البدوي، ولا من هو أقوى منه وأفضل. وإنما هو خاص بالخالق القادر المقدر سبحانه. فإذا سمعت أن وثياً أو نبياً أو ملكاً، نزع الإيمان من قلب شخص، أو رده إليه، فاعتقد أنه كذاب محض. ومن

(١) نسي أن يستغيث بالله تعالى!

(٢) قد يكون هذا أهون ما يقع في الموائد التي تقام للأولياء، ويكون فيها أنواع من الطعام وخير.

دعاء النبي ﷺ : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ! فسأله بعض أمهات المؤمنين عن هذا الدعاء الذي كان يكثر منه ؟ فقال لها : إن قلوب بني آدم كلها بين أصابع الرحمن كقلب واحد بقلبه كيف يشاء ، وقياس المولد على الطواف ، يقتضي أن السيد البدوي مجذوب ، لا يعي ما يقول . فإن الطواف عبادة ، جعله الله ركناً من أركان الحج والعمرة . والطواف لابد أن يكون مستجراً من ثيابه ، يحرم عليه مس العليين ، وقربان زوجته ، ولو فعل ، بطل حجه وعمرته . أما المولد فقد أحدثه الشيخ عبد العال ،

بعد موت شيخه ، ولو فرضنا أنه حدث في حياة السيد البدوي ، فهو بدعة . وكيف تقاس البدعة على العبادة ؟ إلا أن يقال : إن المولد فيه طواف بالضرير ، فأنشبه الطواف بالكعبة !

ثبت عن القطب الكبير سيدي عبد السلام بن مستيش رضي الله عنه أنه قال : سألت الله أن يشفعني فيمن جاءني راتراً . هذا كلام معقول ، ولي أحب أن يكفني زواره . فسأل الله أن يشفعه فيهم . وشفاعة المؤمنين بعضهم لبعض ، ثابتة بالسنة الصحيحة . وأمن سبيل مع كونه من كبار الأقطاب ، مات شهيداً بعد أبو الطرابع ، مدعى النسوة . لكن من غير المعقول ، ولا من المقبول : أن يقول السيد البدوي : وعزة ربي ما عصي أحد في مولدي ، إلا قاب وحسنت توبته . لأنه انتلاء على الله (١) ، واجترأ على الغيب . وفوقه : وإذا كنت أرمي الوحوش والنمل في البحار ، وأحميها من بعضها ، مبرؤد بلا نزاع . فالذي يرمي المخلوقات ، ويحميها من بعضها هو الله سبحانه وتعالى ، لا أحد سواه ، كائن من كان .

وذكروا من كراماته : أنه كان ملثماً بشاميين ، لا يخلعهما . فقال له تلميذه الشيخ عبد المجيد يوما : يا سيدي أريد أن أرى وجهك أعرفه . فقال : يا عبد المجيد كمل نظرة برجل . فقال : يا سيدي أرفى ولو مت . فكشف له اللثام الغرقاني ، فصعق وعات !! كان الجاحظ قبيح المنظر ، بحيث كان النساء يخوفن أطفالهن به . لكن يظهر أن السيد البدوي فاقه في قبح المنظر . بحيث من نظر إليه ، يضرع ويموت ! ولهذا كان عائلته بالشاميين يستر بهما وجهه ، لا يخلعهما إلا إذا زاره أخوة السيد حسن ، ولم يكن أحد من عائلته ملثماً غيره (٢) . هذا هو التعليل الصحيح لموت عبد المجيد حين رأى وجهه شيخه ، إن صحت هذه الحكاية . لكنها غير صحيحة ، مثل باقي الحكايات التي افتروها

(١) الله لا يحب من ينأى عنه .

عليه، وهي كثيرة.

بعض كرامات إبراهيم الدسوقي

وذكر الشيخ عبد الجواد الشرييني في كتاب درر الأصداف: أن سبعة من القضاة ركبوا النيل إلى دسوق، ليمتحنوا الشيخ إبراهيم الدسوقي. فلما وصلت المركب إلى دسوق، أرسل إليهم النقيب، فدفعهم فوجدوا أنفسهم خلف جبل قاف!

فأقاموا سنة يأكلون من حشيش الأرض، حتى تغيرت أجسادهم وخلقت ثيابهم. ثم تذكروا ما وقعوا فيه، فتأبوا هنالك.

فأرسل إليهم النقيب، فدفعهم فوجدوا أنفسهم على ساحل دسوق، ومسح الله من قلوبهم تلك الاستغفة كلها! وأعترفوا بما كانوا جاؤا لأجله. فقال لهم الشيخ: قولوا ما عندكم من المسائل، فضحكوا.

وقالوا: بكفيننا ما جرى لنا! فآخذوا عليه العهد، وصاروا تلاميذه. هذه الحكاية مكدوبة، وألصقة فيها ظاهرة... وأولئك القضاة البؤساء الذين قعدوا خلف جبل قاف مشردين: ألم يكن لهم أهل وأقارب يسألون عنهم؟ ألم تكن عندهم قضايا يدرسونها ويفصلون فيها بين أصحابها؟ وحل اعتبرهم قاضي القضاة ماتوا؟ أو اختطفوا؟ أو ماذا؟ يجوز أن يكون نقيب الشيخ اتصل بأهلهم وبقاضي القضاة، وأخبرهم أنهم أبعادوا إلى جبل قاف لمدة سنة زجراً لهم وتأديباً! لقد كان نصاع هذه الحكاية أن يصوغها على غير هذا الوجه، بأن يقول: فلما وصلت المركب إلى دسوق، وقابلوا الشيخ، أرادوا أن يسألوه، فانسوا ما جاؤوا^(١) لأجله. ولم يتذكروا شيئاً، فعلموا أنها كرامة من الشيخ. أو يقول: فلما ذهبوا إلى الشيخ وسألوه، أجابهم بما بهر عقولهم، واستفادوا منه ما لم يكونوا يعرفونه. مثل هذه الكرامة، لو حصلت للشيخ الدسوقي، تشرفه وتعلي قدره.

(١) حكى مثل هذا في كرامات الشيخ شمس الدين بفتوي: جاءه مرة قاض من المالكية، يريد امتحانه، فاعلموا الشيخ أنه جاء محمداً، فقال للشيخ رضي الله عنه: إن استطاع يسألني، ما عدت أقعد على سجادة الفقراء.

فلما جاء القاض يسأل، قال: ما تقول في؟ وتوقف.

فقال له الشيخ: نعم. فقال: ما تقول في؟ وتوقف، حتى قال ثلاث مراراً، ولم يفتح فيه شيئاً. فقال للقاضي: كنت أريد أن أسأل عن سؤال، وقد نسيت، ثم كشف راسه واستغفر وأخذ عليه العهد بعدم الإنكار على الفقراء، والأعراف عندهم.

كما حصل للإمام البخارى - رضى الله عنه - فأنه لما جاء إلى بغداد، وعقد مجلساً لإملاء الحديث. ألق عشر من العلماء، أن يتقدموا إليه بمائة حديث، يسألونه عنها. على أن تكون مقنونة: إسناد هذا الحديث، يجعلونه الحديث آخر، وهكذا. فلما جلس للإملاء قام أحد العشرة، فسأله عن عشرة أحاديث مقنونة.

والبخارى يجيب عن كل حديث منها، بقوله: لا أعرفه. فأما العلماء، فنادوا أن البخارى إمام. وأما العامة، فظنوا أنه عجز عن الجواب. ثم قام الثانى والثالث إلى المعاشرة، والبخارى لا يزيد على قوله: لا أعرفه. فلما علم أنهم أمروا سؤالهم، انفتحت إلى الأول، فقال له: الحديث الأول، صوابه كذا. والثانى صوابه كذا. حتى أتم الأحاديث العشرة. ثم انفتحت إلى الثانى والثالث: حتى صحح الأحاديث المائة كلها، ورد كل حديث إلى إسناده، على الترتيب الذى ذكره. فحضره له، واعتبروا بحفظه وإتقانه. هذه هى الكرامة، أما الحكاية التى أفسروها على الشيخ إبراهيم السوقي، فهى تصويره بصورة الشخص الذى لا يعرف العلم، ويخاف من أسئلة العلماء.

وحكوا من كراماته: أن تمساحاً خطف صبياً، فأنت أمه مذعورة فأرسل تقيبه، فتادى بشاطئ البحر: معاشر التماسيح من ابتلع صبياً، فليطلع به ... فطلع وعشى معه إلى الشيخ، فأمره أن يلفظ به ... فلفظه حياً!!! وقال تلمساح: مت يا ذن الله، فمات! (١).

هذه خرافة ظاهرة: فلو سلمنا بما قالوا: إن الشيخ كان يتكلم بالسريانى والعجمى والفلينى واليونانى والاندلى، ولغة الوحوش والطيور، فلا نسلم أن تقيبه كان يعرف تلك اللغات. وإن التمساح أحتمل أن يطفل على بطنه حياً، انتظارا لتقييب الشيخ الذى جاء يناديه!

ونقلوا عنه أيضاً أشياء، فيها مبالغات ومجازفات. وقالوا: إنه ذكرها فى كتابه الجواهر. وما نظن أن الكتاب نه: وإنما كتبه بعض أتباعه، ونسبه إليه.

(١) حكى مثل هذه الحكاية فى مناقب ذى النون المصرى، على وجه مبالغى، أو قريب من المبالغى. قال ذى النون: جاء نسي امرأة. فقلت: إن غنى اخذ التمساح، فلما رأيت حرقها على والدتها. فبست الخيل، وقلت: اللهم أظهر التمساح، فخرج إلى. فشققت من جوفه. فأخرجت منها صبيحاً. فأخذته ومقت، وقلت: اجعلنى فى حل. فإني كنت إذا رأيتك سخرت منك، وإني تائب إلى الله تعالى.

حكاية محمد بن هارون السنهوري مع صبي القرطبي

وحكى عن الشيخ محمد بن هارون السنهوري: أنه كان إذا خرج من صلاة الجمعة تبعه أهل البلد، يشيعونه إلى داره، فمر بصبي القرطبي، وهو جالس تحت حائط، يفلى خنثته من القمل، وهو ماز رجله. فخطر في سر الشيخ: إن هذا قليل الأدب، يمد رجله، ومثلي عمر عليه، فسلب لوقت، وفر الناس عنه. فرجع، فلم يجد الصبي. فدار عليه في البلاد إلى أن وجدته في ربيعة مصر. فلما نظر القرطبي الكبير إليه، وهو واقف، وقد فرغوا. قال له: تعال يا سيدي الشيخ، عثقت يخطرك في خاطره أن له مقاماً أو قدراً؟! هذا الصبي منك حالك، فله أن يمد رجله بحضرتك، لكونه أقرب إلى الله منك! فقال: انتويه. فأسدته إلى سنهور، إلى الخياط الذي كان يغني ثوبه عنده... وقال له: نأد السمحفة التي هناك في الشق. وقل لها: أن قرمان^(١) طاب خاطره علي، فردى علي حالي. فخرجت وتفتحت في وجهه، فرد الله عليه حاله.

فهذه الخرافة تغيد أن صبي القرطبي^(٢) - وهو لا يصلي الجمعة، وربما لا يصلي إطلاقاً - سلب الولي حاله لكونه أقرب إلى الله منه! وعلى هذا لا داعي للصلاة، ولا للمعابدات التي يتقرب بها إلى الله تعالى. كما جاء في الحديث القدسي: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» الحديث. وما على الإنسان إلا أن يشتغل قرأاً أو صبي قرطبي، فيعطيه الله الاطلاع على الضمائر، ويجعله أقرب إليه من بعض أوليائه! ثم إن الرلاية هانت وصغر شأنها، بحيث عادت إلى الولي، يتفخ سحلية، إن الذين يحكون مثل هذه الحكايات السخيفة، يصغرون ما عظم الله. ويفتحون باب القول للفسهاء الباطنين الذين لا يحسنون الوضوء، هم يدعون الولاية الكبرى.

حكاية يوسف الكردي والجوهري وتحقيق معنى طي الزمان

وذكر الشيخ يوسف الكردي، تلميذ الشيخ إبراهيم المتبولي، وكان مقيماً بالخلوة في أوبه الشيخ ببركة الحاج. قال: اشتقت إلى أهلي بحصن كسفاً من بلاد الأكراد.

(١) هذا الاسم من أسماء التنصاري، ولا تعني مسلمة اسمه قرمان، فإن كان صانع الكتابة يعتقد أن في التنصاري أولياء مقربين، فهو في خلاف مبين، إما سمع قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ لَهْوَ الْإِسْلَامِ دِينًا قُلْتُمْ يُقَاتِلْ بِهِ وَهُوَ فِي الْأَخِرَةِ مِنَ الْظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥).

(٢) بمشاهدة الرءاء هو الذي يرضى القرطبي ويعلمه أنواعاً من اللعب والحركات، ويسمى في مصر: القرد دتر..

فشاورت الشيخ، وكان ذلك بعد صلاة العصر، فقال: إن شاء الله يكون. قد خففت
أثقله، أقرأ وردا لعصر.

فرايت نفسي داخل بيتي، والناس تسلم علي، وشالوا الأعلام قداني. فدخلت دارنا،
فسلمت على أمي وأبي. ومكثت عندهم أخطب في الجامع، وأقري أطفالا، مدة تسعة
شهور. فقوى اشتياقي إلى الشيخ، فشاورت والدي ووالدتي، فاذن لي. فخرجت إلى
موضع خارج البلد، فإذا بي في خفوني بركة الحاج. فخرجت لاستقم على إخواني، فلم
يسلموا علي. فأخبرتهم بسفري، فقالتوا: يوسف حصل له جنون. فعلم الشيخ بذلك،
فقال: اكتم يا ولدي ما معك!

نقل هذه الحكاية الشيخ الشعراي، وشعر بمعناها. فقال: حدثني بهذه القصة في
حال كماله وعقله. قال: وهذه القصة تشبه مسألة الجوهري الذي غطس في البحر، فرأى
نفسه ببغداد. فتزوج وجاء بالأولاد. ثم رفع رأسه، فإذا هو عند ثيابه، بساحل النيل
بمصر. فخرج في الحس، ما كان في عالم الخيال.

قلت: أتعجب ممن يصدق مثل هذه الحكاية، ويرسم أنها من على الزمان! مع أنها
محال. لا بتصور العقل حصولها أبدا.

والكرامات لا تخرج عن دائرة الإمكان. وعلى الزمان، أنه معنيان ممكنان والجماع:

أحدهما: الخروج عن دائرة الثلث التي يتكون عن حركتها الليل والنهار. كما حصل
لنبي ﷺ ليلة المعراج، فإنه تجاوز دائرة الثلث، وترقى حتى وصل إلى سدرة المنتهى.
فطوى الزمان ومشى في العالم العلوي مسافة لو قيست بالزمان، كانت بضعة آلاف من
السنين^(١)، وهذا على حقيقته. ومن هذا كان المعراج معجزة عظيمة، طوى الله فيها لنبيه
الزمان والمكان. أما طي الزمان، فقد علمته. وأما طي المكان، فلأنه فارق العالم الأرضي،
إلى العالم العلوي. ورأى فيه من آيات ربه الكبرى، ثم عاد في ليلة.

ثانيهما: طي مجازي، وهو أن يتيسر للشخص في الزمن اليسير، من العمل النافع، ما
لا يتيسر لغيره إلا في زمن طويل. كالإمام الشافعي رضي الله عنه: عاش أربعاً وخمسين
سنة. انشأ فيها مذهبين المذهب القديم بالعراق، والمذهب الجديد بمصر. وأخسر علم

(١) بل بضعة آلاف ثلث من السنين. لأن سدرة المنتهى مخرجة عن دائرة المجموعة الشمسية بما فيها من نجوم

الأصول، وترك من الآثار العلمية، ما لم يتيسر لغيره ممن عاشوا مائة سنة. وكذلك
 انغزالي رضي الله عنه، عاش خمسا وخمسين سنة. وترك من المؤلفات في مختلف العلوم
 - خصوصا كتاب إحياء علوم الدين - ما لم يتيسر لغيره في عدة سنين. هذا إلى ما كان
 يقوم به من تدريس العلوم للطلبة، مع الشغل والجهاد لنفسه.

أما أن يلزمه الشيخ إلى العراق مثلا، ويمكث هناك سنة وتكون تلك السنة في
 مصر ساعة من نهار، فهذا أمر محال، فنترك استحالته بالبداهة العقلية. لأنه يلزم عليه أن
 تكون الساعة التي مضت بمصر، مساوية للسنة التي قضتها بالعراق والساعة كما هو
 معلوم بجزء من الليل والنهار للذين هما جزء من الشهر الذي هو أجد الأجزاء الأثني
 عشر التي تتكون منها السنة. ومساواة الساعة للسنة، يلزم عنها مساواة الجزء للكل،
 وهو محال، فما أدى إليه يكون محالا. ومن تحدث بوقوعه له أو لغيره، لا يخلو من أحد
 ثلاثة أشياء: إما أن يكون كاذبا يريد تعظيم شيخه أو نفسه، وإما أن يكون أحسن، لا
 يدري ما يقول، وإما أن يكون واسع الخيال، تخيل أمرا، فخاله حقيقة^(١).

محمد تاج الدين الذاكر وأبو السعود الجارحي

وذكر في ترجمة الشيخ تاج الدين الذاكر:

إنه كان يمكث سبعة أيام بوضوء واحد. وفي آخر صومه كان يتوضأ وضوءا واحدا
 كل أحد عشر يوما. وأراد جماعه أن يمتحنوه، فدعوه إلى ناحية الجيزة في الربيع.
 وصاروا يعملون له الخرفان والدجاج واللين بالأرز وغير ذلك، وهو يأكل معهم من ذلك،
 ثم لا يروته يتوضأ ليلًا، ولا نهارًا، مدة تسعة أيام.

وذكر في ترجمة أبي السعود الجارحي

أنه كان ينزل في سرداب تحت الأرض. أول ليلة من رمضان، فلا يخرج إلا بعد التعيد
 بستة أيام. وذلك بوضوء واحد من غير آكل. وأما الماء فكان يشرب منه كل ليلة قدر
 أوقية.

ليس من المعقول أن يستغني الإنسان عن قضاء الحاجة يوما، فغسلًا عن أكثر.
 والمعروف أن أهل الجنة خصهم الله تعالى، بأنهم لا يقضون الحاجة فيها. ففي صحيح

(١) مر قريبا قوله الشحراني: فخرج في الحس، ما كثر في عالم الحيوان.

مسلم عن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: قَالَ إِنْ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَسْقُونَ وَلَا يَسْقُطُونَ وَلَا يَبْرُلُونَ وَلَا يَمْسَحُونَ وَلَكِنْ طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جَشَاءٌ وَرَشَعٌ كَرَشَعِ الْمَلِكِ يُلْهِمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهِمُونَ أَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ هَذَا مَا مِزَّهُمُ اللَّهُ بِهِ عَنْ أَهْلِ الدُّنْيَا. وَمَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبَيِّنَ لِلنَّاصِيَةِ بَشَرِيَّةَ عَيْسَى وَأَمَّهُ: بِأَوْضَحِ بَيَانٍ، وَأَنْصَبِ بَرَهَانٍ. قَالَ: هُوَ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا يَأْكُلُ الْلُبَّاءَ [المائدة: ٧٥]، أَيْ وَمَنْ يَأْكُلِي الطَّعَامَ، يَضْطَرُّ أَنْ يَخْرِجَ قُضْلَتَهُ مِنَ الْجَسَمِ. فَهُوَ بَشَرٌ، وَلَيْسَ بِإِلَهِ.

لم ما كان يفعله أبو السعود الجارحي في رمضان، مخائف المسنة النبوية. وهو دليل على أنه لم يبلغ درجة القطعية، لأن القطعية يكون عبادته وجميع أحواله، متقبلاً بانهاج النبي ﷺ، لأن عبادته أكمل العبادات.

ومن الكرامات العجيبة: معزة السيدة نفيسة!

وقصتها طويفة، حكّاها الجبرتي في تاريخه، قرأتها منذ مدة. والذي أذكرك منها: أن الناس فتنوا بها، فكانوا يبعثون إلى الشيخ عبد اللطيف مؤذن مسجد السيدة نفيسة ... وهو مخترع قصة المعزة ... يطلبونها منه للتبرك بها. وكان يأخذها إليهم. فيتمسحون بها. ثم يردونها إليه، مع هدايا ثمينة من ثقود وثياب وغير ذلك. حتى وصل الخبر إلى الأمير كتخدا. فبعث إليه، يطلب المعزة للتبرك بها. فذهب إليه الشيخ عبد اللطيف راكباً على بغلة، والمعزة بين يديه. حتى وصل إلى بيت الأمير. فقدمها إليه. فظهر الأمير أنه يتبرك بها. ثم أمر بإدخالها إلى الحريم للتبرك أيضاً. وأشار إلى طبّاخه بذيحها وطبخها. فلما حضر الغداء، صار الأمير يقدم اللحم إلى الشيخ عبد اللطيف. ويقول له: كل منه، فإنه لحم لذيذ. والشيخ يقول: نعم يا مولانا الأمير ما أكلت شيئا أنذ منه. وانتهى الغداء. وأراد الشيخ أن يتصرف، وطلب المعزة. منتظراً ما يأتي معها من هدايا فخرية. فقال له الأمير: تغديت بها، فبعث الشيخ، قوبحه الأمير على استغلاله المعزة، وأرجعه راكباً على بغلته مقلوباً رأسه إلى جهة دبرها. وشنع به. وذكر في مناقب الشيخ محمد بن أحمد الفرغل: أن تمساحاً خطف بنت مخيمر النقيب، فجاء وهو يركي إلى الشيخ. فقال له: اذهب إلى الموضع الذي خطفها منه، وناد بأعلى صوتك: يا تمساح تعال كلم الفرغل. فخرج التمساح من البحر، وطلع كالمركب. وهو مائس. وأخلق بين

بليده، بجارية يسبنا وشسنا، إلى أن وقف على باب الدار - فامر الشيخ رضي الله عنه الشداء بقلع جميع أمثاته، وأمره بلفظ الست من بطنه، فلفظها حية عذوشة. وأخذ على التمساح العهد ألا يعود يخطف أحدا من بلده ما دام يعيش، ورجع التمساح، ودموعه تسيل حتى نزل البحر.

تقدم مثل هذه الحكاية في كرامات الشيخ إبراهيم اندسوتي، وهي مكتوبة كسابقتها. والشيخ الفرغل، كان مجذوبا كما في ترجمة الشيخ الخنفي من طبقات الشعرائي.

طيران النعش بالبيت كذبه الشعرائي وأنكره

ومن الكرامات الغريبة: طيران النعش بالبيت، وهذه كرامة لم أجدها في كتب تراجم الأولياء، المخطوط منها والمطبوع، ولم أسمع بها حتى حضرت إلى مصر. فوجدتها شائعة بين أهل حاضرتها وباديتها. وتحييت في أمرها، ولم اختص بها أولياء مصر دون سائر البلاد الإسلامية؟ ثم زالت خيرتي، حين وقعت على رسالة مخطوطة للشيخ الشعرائي، ألفها في هذا الموضوع. وقرأتها فإذا هو يذكر فيها أن العامة في وقته ابتدعوا هذه البدعة، وأدعوا أنهم شاهدوا النعش يتغير ببعض الموتى. وكذبهم في هذه الدعوى، وذكر أنه لا أصل لها في الدين. وليس عليها دليل. وغاية ما في الباب حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يقول: إذا وضعت الجنائز فأحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت: قدموني. وإن كانت غير صالحة قالت: لأهنتها؛ يا ويلها أين نذهبون بها يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمع الإنسان لصعق. رواه البخاري. لكن هذا لا يقتضي طيران النعش بالبيت. فعرفت حينئذ أن حكاية طيران النعش، كذبة ابتدعت في عهد الشعرائي، وهو القرن العاشر الهجري. وتتبعها في عدة جنازات شهدها بالقاهرة وبالأرياف فوجدتها كذبا كما قال الشعرائي. وأن الحاملين للنعش، يفعلون حركات يهلوانية، ثمهم الناس أن النعش يضرب وأن الحاملين يتطيشون به حتى لا يفلت من أيديهم^(١). وقد يكذب بعض الناس حسبة، ليرفع من شأن البيت.

(١) وكذبة أخرى شاعت بمصر. وهي دعوى أن النعش يتقل على حاملته بحيث لا يستطيعون حملها، لأن البيت لا يريد نقله من ذلك المكان بسبب من الأسباب. ذكرني جماعة كنت عندهم بمدينة رشيد: أن امرأة توفيت في ذلك الخيف، وظهور الزنا كذبت صالحة. ادعى أهلها أنه به أن جهزوا ووضعوها في النعش، حاولوا حملها فلم يستطيعوا. وسرت الإشاعة بين أهل البلد بسرعة. وعلم من أمور المراكز قبحه

حضرت جنازة شيخنا عالم الديار المصرية وشيخ شيوخها الشيخ محمد بخيت رحمه الله، وبعد الصلاة عليه بالجامع الأزهر، خرج النعش محمولا على الأعناق، فقلنا بعض الطلبة: انظروا إلى النعش بطير! فتعظرت قرايت النعش بهتزة بحركة الخاملين له مع شدة الرحام. فقلنا له: إنه لا يطير، ولكنه الرحام أحبب ما ترى. فقال: إنه يطير، فأحددت بصري، غم أوطيرنا، فراجعته، فقال: صدقتى أنه يطير. فقلنا: سبحان الله ترى ما لا نرى!!

حكاية عيسى بن نجم

وقال الشعراني في الطبقات: سمعت سيدى عليا أهرصى رضى الله عنه يقول: مكث سيدى عيسى بن نجم رضى الله عنه بوضوء واحد، سبع عشرة سنة. فقلنا: يا سيدى كيف ذلك؟ فقال: توضع يوما قبل أذان العصر. واضطجع على مسريره. وقال للنقيب: لا تمكن أحدا يوقظنى حتى أمتيقظ بنفسى. فما تجرأ أحد يوقظه، فانتظروه هذه المدة كلها فاستيقظ وعينه كالأحمر. فصلى بذلك الوضوء الذى كان قبلى اضطجاعه. ولم يجد وضوء. وكان فى وسطه منقطة، فلما قام وحلها. تناثر منها الدود. قال الشعراني: وهذه أحوال الشهود، فيمضى على صاحبها عمره كنه كنه لجة بارق، كما يعرفه من سلك أحوال القوم.

قلت: وقد يحصل للشخص غيبوبة عدة سنوات. لإصابته بمرض النوم، أو إغماء، أو نحو ذلك. لكن يجب عليه الظهارة إذا أفاق، ويظهر أن الشيخ عيسى بن نجم لم يكن عالما، فصلى بوضوئه السابق على غيبوبته، وهى صلاة باسلة. ومثل هذا لا يعد كرامة، بل هو نتيجة جهل بحكم شرعى.

حكاية حصان دخل قبره ولم يخرج منه

وذكر الشعراني فى ترجمة الشيخ عيسى بن نجم أيضا، نقلا عن الشيخ محمد اليرلسي: أن شخصا تذر: أن ولدت فرسى هذه حصانا، فهو ثم سيدى عيسى بن نجم.

أربعة عساكر، حملوا النعش وأوصلوه إلى المقابر فى هدوء. وكنت أعرف شخصا ناديا اسمه الشيخ عبد الكريم، كان صالحا ذا كرامات يقوم الليل، على وجه نورانية ظاهرة. فلما توفي رحمه الله، زعم مشيعوه أنهم حن وأصلوا به إلى باب بؤلة... رواية التتولى... وقف النعش كنه مشدود إلى الأرض بمسكير، ولم يتحرك حتى أقاموا حضرة ذكر، كما كانوا يفعلونها عنده فى الزاوية الشاذلية بشرى الحجرا

فولدت له حصاناً. فلما كبر، أراد أن يبيعه. وقال: أيش يعمل سيدي عيسى به؟ فيبشما هو مار به ذات يوم، وقد صار تجاه سيدي عيسى، ربيع من صاحبه حتى دخل الزاوية. فرمع صاحبه من وراءه. فدخل الحصان قبر الشيخ وتم يخرج.

قلت: يكفر من الناس أن يندروا حصاناً للشيخ فلان، أو عجلاً للشيخ فلان. ولا يكاد يخلو بيت في الفلاحين بالوجه البحري في مصر، من أن يندر صاحبه أو صاحبه عجلاً للسيد الهنوي أو خروفاً أو ديكاً أو نحو ذلك. وعجل السيد، مثل معروف عندهم. وهو أشبه بالنسائية التي كانت في الجاهلية.

وانتذر عبادة لله تعالى، كالصلاة وغيرها من العبادات.

وهو نوعان:

١ - نذر لجأج، وهو ما يقع بشرط. نحو: إن شفاني الله، أو قضى مسئلتى، فله على أن تصدق بكذا ديناراً، أو أذبح عجلاً وأطعمه للفقراء. وفي هذا يقول النبي ﷺ: «إن النذر لا يقرب» من أين آدم شيئاً ثم يكن الله تعالى قدره له ولكن النذر يرافق القدر فيخرج^(١) ذلك من التخييل ما لم يكن التخييل يريد أن يخرج^(٢) رواد مسلم في صحبته.

٢ - ونذر بر، وهو الذي لا يكون بشرط. نحو: لله على إطعام بعض الفقراء، أو لله على صوم يوم أو أكثر، أو نحو ذلك.

وقد مدح الله تعالى الوفاء به، في قوله سبحانه ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧]، والنوع الأول يكبره ابتداءً. لأنه يفيد معاملة العبد لله بالشرط. لكن إذا وقع، وجب الوفاء به، كما يجب الوفاء بالنوع الثاني، ومن هنا تعلم أن النذر ينبغي أو لولى، لا يجوز، كما لا تجوز الصلاة له أو العياد. ولما كثر من العوام النذر للأولياء، وفي الغالب يكون الولي المنذور له ميتاً، والميت لا يملك. أفتى بعض العلماء المتأخرين بأن معنى قول الشخص: نذرت هذا العجلى أو الحصان فلان لولى: أنه نذر لله، وثوابه لروح ذلك الولي صدقة عليه. وحيث كان الولي ميتاً فإنه يعطى لأولاده. وإن لم يكن له أولاد، أعطى لاتباعه والمقربين برأيه. وهذا تحايل لتصحيح النذر الواقع من العوام الجهلة بأحكام الشرع.

وكثير من تلاميذ لا يعرفون الأحكام الشرعية، يعتبرون هذه التذویر حقاً لهم
مكتسباً، وإذا وقع للمناذر شيء يؤديه، اعتبروه كرامة لهم، حيث لم يتب بما نذره.
والعجب من الشيخ الشعرائي - وهو فقيه شافعي - كيف يوافق الجماعة على آرائهم
الخالفة للشرع! ويحكى أن الحصان المذكور، ربح من صاحبه، ودخل قبر الشيخ المذكور
هوله!!

وكيف عرف الحصان أنه منذور للشيخ أو ماذا يفعل الشيخ بالحصان في قبره؟ قاله إن
هذه الحكاية لفرية، ما فيها مزية.

الشيخ الشربيني رد ملك الموت حين حضر لقبض روح ولده

وقال الشيخ الشعرائي أيضاً في ترجمة الشيخ محمد الشربيني: ولما ضعف ولده
أحمد، وأشرف على الموت، وحضره عزرائيل لقبض روحه. قال له الشيخ: ارجع إلى
ربك فراجع، فإن الأمر نسخ. فرجع عزرائيل، وسأل أحمد من تلك الضعفة، وعاش
بعدها ثلاثين عاماً.

معنى هذه الحكاية ومغزاها: إن الشيخ الشربيني، علم ما تم يعلمه ملك الموت الذي
أرسل لقبض روح ولده، وأن ولده آخر أجله ثلاثين عاماً. وهذه دعوى باطلة بشقيها.
فألا الشربيني علم ما لم يعلمه ملك الموت، ولا ولده تأخر أجله. ثم يقال: كيف رأى
الشيخ الشربيني ملك الموت؟ هل ظهر له عياناً كما ظهر للنبي؟ حين استأذن عليه لقبض
روحه خصوصية له عليه السلام؟ أم ماذا؟!

والعجب أن الشعرائي. قال بعد هذه الخرافة بمضعة أسطر: ما نصه: وكان الشيخ
محمد بن عثمان وغيره يذكرون عليه - أي الشيخ الشربيني - لعدم صلاته مع الجماعة.
ويقولون: نحن ما نعرف طريقاً تقرب إلى الله تعالى، إلا ما تروى عليه الصحابة والتابعون.
فالشيخ الذي يعترض عليه شيخ عصره، لعدم صلاته مع الجماعة لا يختار من أحد
أمريين:

أما أن يكون مجذوباً، وأما أن يكون عاقلاً، لكنه مقصر في واجبات الدين وكلاهما
يعيد من مناصب القرب، لم يصل بعد إلى مقام الكرامة والاتحاق.

حكاية حسن العراقي

وذكر الشيخ الشعرائي أيضاً عن شيخه الشيخ حسن العراقي : أنه قال له : دخلت جامع بني أمية، فوجدت شخصاً يتكلم على الكرسي في شأن المهدي عليه السلام. فاشتقت إلى لقاءه، فصررت لا أسجد سجدة، إلا سألت الله تعالى أن يجمعني عليه. فبينما أنا ليلة بعد صلاة المغرب، أصلي صلاة السنة، إذا بشخص يجلس خلفي، وحسن علي كوفي، وقال لي : قد استجاب الله دعائك يا ولدي. ما لك ؟ أنا المهدي ! فقلت : تذهب معي إلى الدار. فقال : نعم، فذهب معي. فقال : أدخل لي مكاناً أنفرد فيه. فأخبرت له مكاناً. فأتاه عندي سبعة أيام بلياليها، ونقنتي الذكر. وقال : أعلمك وردى. تدوم عليه إن شاء الله تعالى. تصوم يوماً، وتضطر يوماً. وتصلّي ثلث ليلة خمس مائة ركعة. وكنت شأياً امرء، حسن الصورة، فكان يقول : لا تجلس قط إلا ورأيتي، فكنت أفعل. وكانت عمامة العجم، وعليه جبة، من زبر الجبال. فلما انقضت السبعة أيام خرج فودعته. وقال لي : يا حسن ما وقع لي قط مع أحد ما وقع معك. فدم علي وبرك حتى تعجز، فإنك ستعمر طويلاً. ثم قال للشعرائي بعد هذه الحكاية : فعمري الآن مائة وسبع وعشرون سنة. وقيل أن تتكلم على هذه الحكاية تبين مسائلتين :

١ -- المهدي المنتظر، فيه خلاف. معظم الأشعرية يعتقدون حقيقته، حتى أنهم ذكروه في قسم السمعيات من علم العقائد. لأن الأحاديث بظهوره متواترة، واعتزلة تنكرونها، ويعتبرون القول به نزعاً شيعية.

٢ -- اختلف العلماء في الأرواح، هل هي مخلوقة قبل الأجساد؟ ذهب جماعة إلى أنها خلقت قبل الأجساد، ونفس آخرون ذلك وقالوا : إنما يخلق الروح بعد خلق الجسد، حيث ينفخ فيه. وعلى هذا الرأي درج ابن حزم وغيره. وليس غرضنا الاستدلال للقولين، والموازنة بينهما. ولكن غرضنا التمهيد لنقد الحكاية التي يدعي فيها الشيخ حسن العراقي أنه رأى المهدي المنتظر، في أوائل القرن العاشر الهجري. مع أن الأحاديث تخبر بظهوره قرب الساعة. حيث يظهر في دجال ويقاُتله، ويتزل عيسى عليه السلام. فيقتل الدجال، وينتصر الإسلام. وقد بدت الآن بوادر، تنذر بقرب ظهور الدجال. فإن كان الشيخ حسن،

صادقاً فيما يقول، فالمهدي إما أن يكون قد مات، ويحييه الله ثانياً، ليقاتل الدجال.

كما أخبرت الأحاديث الصادقة . وإما أن يكون لا يزال حياءً قد يبلغ من الكبر عتياً .
وحشنة . ثم تبقى له قدرة على القتال والجهاد . وكلا الاحتمالين بعيد . وفي باطل

قد يقال : أنه اجتمع بروح المهدي ، دون جسده الذي لم يخلق بعد . وهذا هو مراده ،
فقد قال الشيرازي في المواقيت وأنوار المهدي ولد الحسن العسكري بن الحسين (١) .
وعولده ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين بعد الألف . وهو باق إلى
أن يجتمع بعيسى ابن مريم عليه السلام . هكذا أخبرني الشيخ حسن العراقي المدفون
فوق كوم الرين المظلل على بركة الرطلي ، بمصر الروسية ، ووافقه على ذلك سيدي علي
الخواص ، آخر .

ونقول : بينا أننا وجود الخلاف في الأرواح هل هي مخلوقة قبل الأجساد؟ فإذا نحن
أخذنا بهذا القول هنا ، فقد رجحناه على مخالفة لا ندليل ، ولكن لنصدق الشيخ حسنا
فيما ادعى . وليس هذا بالطريق العلمي في ترجيح قول على غيره . وقد لاحظت أن بعض
المشايخ يستغل ثقة الناس به ، واعتقادهم فيه . فيرمي بظلمة ، تحسب معتقديه أن ينتمسوا
لها تأويلات بعيدة من غير أن يخطر ببالهم إساءة الظن به ، وهذا خطأ كبير . فالواجب أن
ننظر في الكلام الذي صرح عن صاحبه ، وليأ كان أو عالماً ، فإن كان يحتمل تأويلاً قريباً
معقولاً أولناه ، وإن كان يحتمل تأويلاً بعيداً غير معقول ، أو لا يحتمل تأويلاً ، لمكونه
صريحاً ، حكماً عني صاحبه بما يقتضيه كلامه . فإن كان من قبيل الرأي خيلاً ، وإن
كان من قبيل الخبر كذبناه . ونهنا صرح أهل الحديث رضي الله عنهم بتشذيب رجال
صالحين ، يستسقى بهم الغيب . لأنهم أسكروا عنهم كذباً في الرواية . ونال الإمام
مالك : لقد أدركت في المدينة رجالاً لو اتهم أحدهم عن بيت المال ، لكان عليه أمينا .
وهم أرو عنهم الحديث ، لأنهم ليسوا أهلاً للرواية . إذا تقرر هذا ، فخبر الشيخ حسن
العراقي في مقابلة المهدي ، غير صادق . والحمل عليه فيه لا محالة . ونحن لا يمكننا أن
نصدق أن المهدي كان رجلاً موجوداً في القرن الثامن الهجري ، ثم يظهر بعد ذلك بألف
سنة أو أقل أو أكثر ، إلا إذا كنا على مذهب الشيعة الذين يقولون : أنه موجود ، غائب في

(١) الذي تدره في كتابه في تاريخ المهدي من ولد الحسن عليه السلام . والحق في ذلك : أنه لم تتأجل
عن الخلاف . وهي حق له ، حقاً نداء المسلمين . عوضه الله بأن جعل الخليفة الحق الذي يظهر في آخر
الزمان من ولده ، ويزيد الصوفية على ذلك : أن الله جعله أول الأقطاب في هذه الأمة .

السرداب أو في جيل رضوى^(١). ويتنظرون ظهوره. لكن الشيخ حسن ليس بشيعة. وروح المهدي لا يمكن أن يظهر لأحد - على قول من يقول يتقدم خلق الأرواح - لأن الروح إنما يتشكل بعد وجود جسمه الطبيعي. فيظهر في أجسام مثالية، تشبه جسمه. لكن قبل وجود الجسم، لا تشكل ولا تطور. ثم ما ذكره الشيخ حسن العراقي من تاريخ مولد المهدي، ناقضه بتاريخ آخر أبداه. فقد نقل عنه الشمراني أيضاً في الآثار القدسية في آداب العبودية: إنه سأل الإمام المهدي عن سنة مولده؟ فقال: يولد أو آخر المائتين من الهجرة. قال الشمراني: فسألت عن ذلك بعض الكمالي من شيوخنا^(٢) فأجاب بالتاريخ المذكور سواء بسواء فاعلم ذلك أنه. وهو تناقض واضح، وقد وافقه عليه الشيخ علي الخواص إذ هو أفراد ببعض الكمال في كلام الشمراني. والعجيب في هذا أنه أن الإمام المهدي هو نفسه عينه أخير الشيخ حسناً بسنة مولده!!

حكاية اجتماع سهل التستري بشخص من أصحاب عيسى بن مريم

وحكى الشمراني أيضاً في ترجمة سهل بن عبد الله التستري. فقال وكان رضي الله

(١) الشيعة الإمامية يقولون عن محمد بن الحسن العسكري - نسبة إلى العسكري وهي سر من رأى - آخر الأئمة الاثني عشر: إنه المهدي المنتظر. قال ابن الأثير في تاريخه: ولد محمد بن الحسن الخليل سنة خمس وخمسين ومئتين. وتزوج الشيعة أنه دخل السرداب في دار أبيه بسر من رأى، وأنه تنظر إليه فلم يجد إرباً.

وكان عمره تسع سنوات. وذلك في سنة خمس وستين ومائتين على خلاف فيه أنه. وفي الفصول المهمة: قيل: إنه غاب في السرداب سنة ست وستين ومئتين. وقيل ابن بطوطة في رحلته: ثم وصلت إلى مدينة الخلة وهي مستطيلة مع أنقرات، وأهلها كلهم إمامية اثنا عشرية. وبها مسجد على باب ستر حبر. يقولون: إن محمد بن الحسن العسكري دخل هذا المسجد وغاب فيه، وهو عندهم الإمام المهدي المنتظر. فهم كل يوم يمسكون آية أخرب مائة منهم. ويأتون باب المسجد، ومعهم ذبابة مسرجة ملجمة. ومعهم الغبير والبقوات، ويقولون: أخرج يا صاحب الزمان فقد كثر ظفركم وأنفسماء. وهذا إذا خرجك، يفرق الله بين الحق والباطل، ويقفون إلى الغيل، ثم يهردون. كذلك دأبهم أبداً أنه. والمشيخ أبي عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الكجي - ويقولون: الكشي - كتاب البيان في أخبار صاحب الزمان قال فيه: من الأدلة على كون المهدي حياً باقياً بعد هيبته إلى الآن: أنه لا امتناع في بقائه بقاء عيسى بن مريم والتخبر والقياس من أولياء الله تعالى، وبقاء الأعراف الدجالين وليس الله من أعداء الله تعالى أنه. ثم استدل ذلك بما يراجع عن ذلك. أما الشيعة الكيسانية، فيرون أن المهدي المنتظر هو محمد ابن الحنفية بن علي عليه السلام وأنه حي مقبب بجناب رضوى قرب المدينة، وهو بين أسدين بحققتك، وعند عينا تحريران بماء وعسل وأنه سوف يعود بعد الغيبة. ويملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وكان السيد الحسبي على هذا المذهب.

(٢) يعني الشيخ علي الخواص.

عنه يقول: اجتمعت بشخص من أصحاب المسيح عليه الصلاة والسلام، في ديار قوم عاد، غسلت عليه، فرد على السلام. فزيت عليه جبة من صوف، فيها طراوة. فقال لي: إنها على من أيام المسيح. فتعجبت من ذلك! فقال: يا سهل إن الأيدان لا تخلق ثياباً، إنما يخلقها رائحة الذنوب - أي كرائحة الكذب - ومطاعم السمات. فقلت له: فكم لهذه الجبة عليك؟ قال: لها على سبعمائة سنة! فقلت له: هل اجتمعت بنبينا محمد ﷺ؟ فقال: نعم وآنست به، حين آمن به الجن الذين أوحى إليهم في حقهم ﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١]، قلت: هذه القصة شبيهة بقصة زريب بن برثملا الذي ظهر لجيش سعد بن أبي وقاص بفارس، وزعم أنه وصي عيسى عليه السلام. وأنه أمره بانتظاره في ذلك المكان، حتى ينزل في آخر الزمان. وهي قصة طفوية. رواها الحكماء، وحصر بوضعها ابن تيمية وغيره. وذلك الشخص الذي ادعى أنه من أصحاب المسيح كذاب، كذب على سهل، وهذا تقبل كذبه بسلامة نية، وهو خطأ. ومن الأمثال التي رويت حديثاً وليس بحديث، قولهم: الثقة بكل أحد عجز. وما كان ينبغي لسهل - وهو صوفي نجله ومنحصره - أن يصدق كاذباً من غير أن يعرف عنه ما يدل على صدقه، بل حكايته، تنادي بكذبه. والعجيب أن الشعرائي علق عليها بقوله: ومن هنا كان الخضر عليه السلام، لا تبلى له ثياب. لأنه لا يعصى الله تعالى ولا يأكل سراماً. ولو كان عنده وعى أهل الحديث وبعد نظرهم، لعرف أنها مكذوبة (١).

وقال الشعرائي أيضاً: وقد كان سهل بن عبيد الله التستري رضي الله عنه، يقول: أعرف تلامذتي من يوم ألتفت بربكم؟ وأعرف من كان في ذلك الموقف عن يميني، ومن كان عن شمالي، ولم أزل من ذلك اليوم أربي تلامذتي. وهم في الأصلاب. لم يحجبوا عني إلى وقتي هذا. نقله ابن العربي رضي الله عنه في الفتوحات المكية.

قلت: نقل هذا الكلام، تأييداً لما ذكره من استطالة الأرواح، وسعة إدراكها. وهذا الكلام إما أن يكون غير صحيح عن سهل، وإما أن يكون صدر عنه في حالة شطط. أما

(١) وحكي أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المغربي ... وهو استاذ إبراهيم الخواص ... قال: اجتمعت بشخص من أصحاب أبينا إبراهيم عليه السلام، وقال: إنه ساكن في الهواء سنة رمى إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالجنين. فقلت له: ما جعلك في الهواء. وأنت من بني آدم؟ فقال: توكلت على الله عز وجل. فقلت له: وما اتوكل؟ قال: أنظر إلى الله تعالى دائماً بلا عين تطرف. وأذا كرهته بفساد لا يتحرك. وأخولان في مصراعته بلا روح كفعل. قلت: هذا ... إن صبح ... اجتماع روجي لا جسمي.

أن يكون قاله في وعيه، وحال تمكنه في مقامه، فلا. لأنه كلام غير مقبول، ولا معقول. ذلك أن روح النبي ﷺ أكمل الأرواح، وأعلاها علما وإدراكا. ومع ذلك يقول الله تعالى له: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢]، ونعبر لا نشك أن روح النبي ﷺ، كسان يوم الست بربكم، يعرف الإيمان والكتاب. لكنه حين وجد جسمه الشريف، نشأ معه الروح نشأة جديدة، قطعت الصلة بينه وبين حاله قبلي وجود الجسم. وأصبح لا يعرف شيئا، إلا ما عرفه الله تعالى إياه بالروح. وإذا كان هذا حال الروح مع جسم طاهر معصوم من المعاصي والخطيئات، فكيف يكون حاله مع جسم مفسد بالذنوب؟ لابد أن يكون حجابا أشد كثافة، وأكثر ظلاما. ولما قال الكفار حين رأوا العذاب يوم القيامة ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧]، قال الله تعالى يكذبهم ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ لَعَادُوا لِمَا نَهَوْا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]، وما عادوا لما نهوا عنه من الكفر، إلا لأنهم نشأوا نشأة جديدة، أنسبهم ما شاهدوه من العذاب.

إذن فليس من المعقول: أن يعرف سهل أو غيره تلامذته من ذلك اليوم، ولا يحجبون عنه.

كلام للشيخ إبراهيم الدسوقي غير مقبول

وما لا يعقل ولا يقبل: قول الشيخ إبراهيم الدسوقي، في كتاب أنوار المنسرب له: أشهدني الله تعالى ما في العلا، وأنا ابن ست سنين. ونظرت في اللوح المحفوظ وأنا ابن ثمان سنين، وفككت فلسف السماء، وأنا ابن تسع سنين. ورايت في السبع المثاني حرفا حار فيه الجن والأنس، فقهيمته وحمدات الله علي معرفته. وأحركت ما سكن، وسكنت ما تحرك بإذن الله تعالى، وأنا ابن أربع عشرة سنة. قلت: إن لم يكن هذا الكلام صدر من صبي، في أنه شطح، قبلي تمكنه، فلا وجه له. ولا يقبل بحال من الأحوال. وأنا كان النبي ﷺ، لم يعلمه الله ما في العلا، إلا قبيل وفاته. كما في حديث اختصاص الملا الأعلى الذي رواه ابن عباس، وصححه البخاري. يقول فيه النبي ﷺ:

«رايت ربي في أحسن صورة... فقال: يا محمد. قلت: لبيك رب وسعديك. قال: عليم يختصم الملا الأعلى؟ قلت: لا أدري يا رب. فوضع يده علي كتفي حتى وجدت بردها في صدري، فعلمت ما في السموات وما في الأرض، وفي رواية: فتجلى لي كل شيء وعرفت الخديث. فكيف يقول الشيخ إبراهيم، أو أبو الطيعين: إن الله أشهد ما

في العلا، وهو ابن ست سنين؟! وهن يعلل أن تكون بدايته هي نهاية أنبيى ﷺ؟! ثم إذا كان نال من العلوم والأسرار، وهو ابن أربع عشرة سنة، فكيف صاف من القضاة الذين اتوا ليمسحنوه بأستلثمهم، حيث بعث إليهم نقيبه، دفعهم دفعة^(١) أوصلتهم خلف جبل قاف؟! يظهر أنه لما كبر، نسي تلك العلوم والأسرار^(٢)؟! ولهذا لم نجد له من الآثار العظمية ما يدل على صحة تلك الذعوى.

أما قوله: أنا موسى عليه السلام في مناجاته، أنا على رضى الله عنه في حسنة، أنا كفى لى في الأرض، خلعت بيذى، ألبس منهم من شئت، أنا في السماء شاهدت ربي. وعلى الكرسي خاطبته، أنا بيذى أبواب النار غلقتها، ويذى جنة الفردوس فتحتها، من زارنى أسكنته جنة الفردوس، فهذا ونحوه من الشطحيات قرأناه لكثير من المجاذيب المولاهين. وما يدل على شطحية هذا الكلام وسطحيته: أن الأحاديث الواردة في الزيارة التنبوية تقول: من زارنى كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة والشيوخ إبراهيم يقول: من زارنى أسكنته جنة الفردوس.!! مددياً أبا العيينى! ومهما يكن من أمر، فلا ينبغي أن يكون الشيخ إبراهيم هو موسى أو علياً أو يلبس الخلق لمن شاء من الأولياء، لكن يعيننا أن نقرأ له كلاماً حل به آية منسككة، أو حديثاً عسر فهمه على غيره، أو حكمة مثل حكم ابن عطاء الله، وذلك عجزه وجسوده في آثار أبي العيينى المسمى رضى الله عنه. وذكر الشمرانى أيضاً عن شيخه الشيخ نور الدين المصطفى: أنه قرأ في يوم وليلة ثلاثمائة وستين ألف ختمة كل درجة ألف ختمة.

قلت: هذا غير معقول، ولا مقبول، بل هو من قبيل طي الزمان الذى بينا استحالة فيما مر. فلو فرضنا أنه قرأ القرآن هذمرة، لما استطاع أن يقرأ ثلاث مائة ختمة في اليوم واليلة.

نعم قد يبارك الله في وقت الولي فييسر له قراءة ختمة في زمن أقل من غيره، لكن لا تصل البركة إلى حد الاستحالة^(٣).

(١) كنا نسمع حكايه مضمونها أن رجلاً قال لآخر: لأقربيك برجل صرة توصفك إثير مكة، فأجابه الآخر:

تعل الله برزقي حجة بضرتك. ويظهر أن الرجل انضارب هو نقيب الشيخ إبراهيم المسمى.

(٢) مع أنه لم يعمر قليلاً، بل توفي وهو ابن ثلاث وأربعين سنة.

(٣) اسم من كان الله ربه الحكمة، إلا نع أور بكر بن عباس، عن نفسه حيث قال: ختمت ثمانية

وعشرين ألف ختمة، وأورد نو كانت سبب لتصفح عن رقة واحدة، وقعت فيها، وقد مات عن ثلاث و

تسعين سنة. فمن المعلوم أن يقرأ هذا العدد من الختمات في عمره الطويل المبارك، رضى الله عنه.

كرامة مخيفة لشخص الشيخ عبيد

وقال الشعراني أيضاً: أخبرني بعض الثقات: أنه كان مع الشيخ عبيد في مركب، فوحلت فلم يستطع أحد أن يزرحها. فقال الشيخ عبيد أربطوها في بيض بحقي، وأنا أنزل أسحبها. ففعلوا، فسحبها بيضة حتى تخلصت من الوحل إلى البحر.

ذكر هذه الحكاية في ترجمة أبي علي المعروف بأبي العلا^(١). وهي حكاية مكدوبة، وإن قال الشعراني: حدثه بها بعض الثقات. فإن هذا تعديل على الإيهام، وهو غير مقبول. وبعض الثقات، الذي حدثه، هو الذي صنع هذه الحكاية. ولو غرضنا صحتها، فما كان ينبغي التحدث بها، لمناقشتها الذوق والأدب.

كرامة مخيفة لشخص يسمى الشيخ علي وحيش

ونظيرها ... مع شدة فحشها ... ما حكاه في ترجمة الشيخ علي وحيش المجدوب: كان إذا رأى شيخ بلد أو غيره ينزله من على الخمار، ويقول له: أمسك رأسها حتى أقبل فيها. فإن أبي شيخ البلد، تسم في الأرض، لا يستطيع أن يمسك خطوة. وإن سمع، حصل له خجل عظيم، والناس يمرون عليه. فلا معنى لذكر هذه الحكاية ولا لذكر صاحبها؛ بعد الاعتراف بأنه مجذوب. لأن الغرض من ترجمة الولي، وذكر بعض كراماته. الاعتبار بما قدم من أعمال صالحة والاقتداء به. والمجدوب ليس أهلاً لفقدوة. نقل الشعراني عن شيخه الشيخ علي البرلسي الخواص: أنه كان يقول: إن السوق وأهل التصانيع والحرف، أعظم درجة عند الله، وانقاع من المجاذيب. لقيامهم في الأسباب. وكان أيضاً يقول: المجاذيب والأطفال في الحالة سواء، إلا أن الأطفال يتميرون عن المجاذيب بمرئيتهم في الجنة. كما ورد: أنهم دعائم الجنة أي غواصون فيها. وإن ذكر مجذوب على سبيل الاسترواح، والاعتبار بشعمة العقل. فلا يجوز ذكر ما كان يفعله من أعمال قبيحة؛ مثل إتيان الخمار على قارعة الطريق.

الشيخ علي أبي خودة

وذكر في ترجمة الشيخ علي أبي خودة: أنه كان بهوى العبيد السود والحيش، وأنه كان إذا رأى امرأة أو امرء، رواده عن نفسه وحسن علي مقعدته. سواء كان ابن أميراً أو

(١) يعرف في مصر بالسلطان أبي العلا. وعلي ضريحه جامع تقام فيه الجمعة بجهة بولاق. وكان مجذوباً صاحب أحوال؛ ولا أخرى من ابن أبي له ثقب بالسلطان؟

وزير، ولو كان بحضرة والده أو غيره، ولا يلتفت إلى الناس.

قلت: هل هذه منقبة تستحق أن تسجل مع مناقب الأولياء والشعراة مهدي لذكر هذه القبايح بأن الشيخ كان ملامتياً، يتعاطى أسباب الإنكار عليه قصداً، فإذا أنكر عليه أحد أعطيه ويظهر أن الشيخ كان حاداً على الناس، فيفعل ما يدعوهم إلى الإنكار عليه، فيشفي حقه بإعطائهم، إن كان يقدر عليه والذي نعرفه عن الملامتين: أنه يفعل ما يلام عليه، من غير مباشرة لمصيبة. كان يقف بباب خسارة، فيشوههم من يراه أنه كان داخلها، أو هو يريد أن يدخلها. أو يقف بباب المسجد والناس يصلون جماعة. فيلام على ترك الجماعة. مع أنه يكون قد صلى تلك الصلاة في مسجد آخر، أو مع أهله في بيته جماعة. وهو نوع من السلوك، أخذ به بعض الصوفية ليعلو مقام المريد، ويكثر ثوابه، بإنكار الناس عليه. ومعظم الصوفية لا يرضونه، ولا يأخذون به، لسببين:

١ - أن الشرع يحض على اجتناب مواضع التهم، ويجعلها من خوازم المروءة المسقطه للمعدلة. وعمر رضي الله عنه كان يقول: من وقف مواقف التهم، فلا يلوم من أساء به الظن.

٢ - أنه لا يجوز للشخص أن يفعل شيئاً يحمل الناس على اغتيابهم له، ليصاب بذلك الاغتياب. ولو فعل ذلك، واعتابه. كان آثماً. لأنه أوقعهم في إثم الغيبة.

ومن هنا لا نجد في الشاذلية والناقدية ملامتياً، ولا صاحب أحوال. لأن السلوك في هذين الطريقتين، مبني على أساس شرعي مستقيم.

مناقشة أبي الفضل الأحمدي في كلامه على تلقين الذكر

ونقل الشعراة أيضاً عن شيخه أبي الفضل الأحمدي، في كلامه على شروط تلقين الذكر: أنه قال: فأمّا تلقين الذكر، فيشرطه عندي: أن يعطيه الله تعالى من القوة والتمكين، وكمال الخصال ما يمنح المريد، عند قوله: قل: لا إله إلا الله، جسمي عظم الشرائع المنزلة. إذ هي كلها أحكام لا إله إلا الله. فلا يحتاج بعد ذلك الخلق، إلى تعليم شيء من الشرائع. كما حصل لعلي رضي الله عنه. حتى كان يقول: عندي من العلم الذي أسره إلى رسول الله ﷺ ما ليس عند جبريل ولا ميكائيل، فيقول له ابن عباس: كيف؟ فيقول: إن جبريل عليه السلام تخلف عن رسول الله ﷺ ليلة الإسراء، وقال: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ (١٣٤) [الصفحات: ١٣٤]، فلا يدري ما وضع لرسول الله ﷺ بعد ذلك.

قلت : هذا الكلام ليس له إمتداد عن علي عليه السلام ، ولا يصح عنه . والآية التي ذكرها ثم يقلها جبريل عليه السلام ليلة الإسراء ، وإنما قالها ملائكة ، رداً على المشركين الذين زعموا أن الملائكة بنات الله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . اقرأ قبل الآية المذكورة : قول الله تعالى رداً عليهم ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُيُوتُ ﴾ (١٤٩) أَمْ خُلِقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٥٠) أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ أَفْكِهْمُ يُسْقِطُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢) ﴿ [الصفات : ١٤٩ - ١٥٢] ، إلى آخر الآيات وفي آخرها يقول الملائكة ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾ (١٥٣) ﴿ [الصفات : ١٦٤] ، أي نحن عبيد مسخرون ، لكل واحد منا مقام معلوم لا يتعداه ، ولست ببناات الله تعالى ربنا عن ذلك . ولا علاقة للآية بليلة الإسراء ، كما يفهمه كثير من الناس غلطاً . لكن لا يصح نسبة الغلط إلى علي عليه السلام فإني أعني من أن يقع في مثل هذا الغلط الذين ، أمعاء رطبة ابن الغرير في التفريق أمر عسير ، لا يتحقق فيه نفسه ، ولا في كثير من الأولياء . فضلاً عما دونهم . ويمكن أن يكون قصد به سد الباب على مدعي المسيخة في عصره ، كما لمع لذلك في أول كلامه (١) .

(١) من الغلو الذي سهواً عن التنبية عليه في المقدمة : ما شاع عند كثير من الناس : أنهم يبعثون خطباء من البيت إلى الإمام الشافعي رضي الله عنه ، يقولون منه قضاء حوائج وتوسلات وغير ذلك . ويسمونها ساعي الشريف إلى خدم المسجد ، فيلقونها في الضريح . وقد زرت قبر الإمام الشافعي مرات ، فرايت خطباءات مشغرات في ضريحه ، ورايت زوراً يقولون خطبات على الله ، ربيع ، فيها مطالباتهم . وكل ذلك غلو مدساة إجهلي بقواعد الدين الذي ينهي عن ذلك ولا يقره .

الباب الثالث

ذكر نماذج من كرامات معقولة

كرامة الحسن بن علي عليهما السلام

نقل العلامة الشيخ عبد الرحمن الأزهري المالكي في مشارق الأنوار، عن الحسن بن علي عليهما السلام، أنه قال: حسن عني عظامي معاوية، في بعض السنين - وكان مائة ألف - فحصل لي ضيق شديد - فدعوت بدواة، لأكتب إلى معاوية، لأذكره نفسي، ثم أمسكت. فرأيت رسول الله ﷺ في المنام - فقال: كيف أنت يا حسن؟ فقلت: بخير، وشكوت إليه تأخير المال عني. فقال: أدعوت بدواة لتكتب إلي معذرتك مثلك تذكره؟ فقلت: يا رسول الله فكيف أصنع؟ قال: قل: اللهم أسدّد في قلبي رجاءك، واقطع رجائي عن سواك، حتى لا أرجو أحدا غيرك. اللهم ما ضمنت عند قومي، وقصر عني عملي، ولم تنته إليه رغبتي، ولم تبلغه مسألتي، ولم يعر علي نسائي. مما أعطيت أحدا من الأولين والآخرين من اليقين، فخصني به يا أرحم الراحمين. قال: فوالله ما ألحمت به مسبوغا، حتى بعث إلي معاوية بألف ألف وخمسمائة ألف. فقلت: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، ولا يخيب من دعاه. فرأيت النبي ﷺ فقال: يا حسن كيف أنت؟ فقلت: بخير يا رسول الله. وحديثه يحدثني. فقال: يا بني هكذا من رجا الخلق ولم يرج المخلوق.

عمر يقم الحمد على ابنه

روى الخطيب وغيره عن عمرو بن العاص. قال: بينا أنا بمنزلي بمصر، إذ قيل لي: هذا عبد الرحمن بن عمر وأبو سرور، يستأذنان عليك. فقلت: يدخلان، فدخلا وهما منكسران فقالا: أقم علينا حمد الله، فإننا أصبنا البسارحة شرابا وسكرنا، فتزجرتهمسا وطردتهمسا. فقال عبد الرحمن: إن ثم فعل، أخبرت والذي إذا قدمت عليه. فعلمت اني إذا ثم أقم عليهما الحمد، غضب علي عمر، وعزنتي. فآخريتهما إلى صحن الدار، فضررتهمسا الحمد. ودخل عبد الرحمن ناحية إلى بيت في الدار فحلق رأسه، وكانوا يحلقون مع الحدود، والله ما كتبت إلى عمر بحرف ما كان. حتى إذا كان بعد أيام.

منى ما بنال الرجل من الذراة. وقد أغمى عني. فكشمت أُمري عن عني وجرداني. حتى أحسست بالولادة. فخرجت إلي موضع كذا. فوضعت هذا الغلام. وهممت بقتله. ثم ندمت على ذلك. فاحكمم بيتي وبيته بحكمم الله. فأمر عمر مناديا ينادي فاقبل الناس يهرعون إلى المسجد. فقال عمر: لا تفرقوا حتى آتيكم. ثم خرج. فقال: يا ابن عباس اسرع معي فاسرع حتى وصل منزله. ففزع الباب. وقال: ها هنا ولدني أبو شحمة؟ فقبله. فإنه عني أعطعنا. قد خلى عليه. وقال: كل يا بني فموشك أن يكون آخر زادك من الدنيا. قال ابن عباس: فلقد رأيت الغلام. وقد تغير لونه. ولرتعد وسقطت اللقمة من يده. فقل عمر: يا بني من أنا؟ قال: أنت أبي وأمير المؤمنين. قال: فلي حق طاعة أم لا؟ قال: لك طاعتان مفترضتان: لأنتك والذي وأمير المؤمنين. قال عمر: بحق نبيك، وبحق أبيك هل كنت ضيفا لنسيكة اليهودي؟ فطهرت أخصر عنده فسكرت قال: قد كان ذلك. وقد نبت. قال: رأس مال المؤمنين الثوبة. قال: أنشدك بالله هل دخلت حائط بني النجار فرأيت امرأة فواقعته؟ فسكت وبكى. قال: لا ياس، اصدق يا بني فإن الله يحب الصادقين. قال: قد كان ذلك، وأنا نائب نادم. فلما سمع عمر منه، قبض على يده ولبيبه وسجده إلى المسجد. فقال: يا أيت لا تنفضني، وخذ السيف واقتلني. قال: أما سمعت قوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ٢٤) ثم جره إلى المسجد. وقال: صدقت المرأة، وأمر أبو شحمة بما قالت. وكان له مخلوك يقال له: أفلح. فقال: يا أفلح خذ ابني هذا إليك، وأجلده مائة سوط، ولا تقصر في ضربه. فقال: لا أفعل وبكى. فقال: يا غلام إن طاعتي طاعة لله ولرسوله، فافعل ما أمرك به. فتنع ليابه. وجعل الغلام يقول لأبيه: أرحمني يا أيت. فقال له عمر: إنما أفعل هذا كي يرحمك الله ويرحمني. ثم قال: يا أفلح اضرب، فضربه وهو يستغيث، حتى بلغ سبعين. فقال: يا أيت اسقني شربة من ماء. فقال: يا بني إن كان ربك يظهر لك، فيسقيك محمد ﷺ شربة لا تظلم بعدها أبدا، يا غلام اضربه. فضربه حتى بلغ ثمانين. فقال: يا أيت السلام عليك. فقال: وعليك السلام إن رأيت محمدا فاقوله مني السلام. وقل له: خلفت عمر يقرأ القرآن ويقيم الحدود، يا غلام اضربه. فضربه حتى بلغ تسعين. فبانقطع كلامه وضعف. فرأيت الصحابة قالوا: يا عمر انظر كم بقي؟ فأخبره إلى وقت آخر فقال: كما لم تؤخر المعصية. لا تؤخر العقوبة. وجاء أنس بن مالك إلى أمه. فجاءت يا كية صارخة. وقالت: أحج بكل سوط. حجة عاشية، وأصدق بكذا وكذا درهما. فقال: إن أفلح

والصدقة، لا ينويان عن أخذ . فضربه فلما كان آخر سوط، سقط الغلام ميتاً . فصاح عمر، وقال: يا بني محص الله عنك الخطايا . ثم جعل رأسه في حجره، وجار يديه ويقول: يا بني من قتله الحق، يا بني من مات عند انقضاء الحدة، يا بني من لم يرحمه أبوه وأقاربه، فضج الناس بالبكاء والتحبيب . فلما كان بعد أربعين يوماً، أقبل حدة بختة بن اليماني رضي الله عنهما، صبيحة يوم الجمعة . فقال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام . وإذا يقضي معه، وعليه حلتان خضراوان . وقال رسول الله ﷺ: اقبري عمر مني السلام، وفل: هكذا أمرك الله أن تقر القرآن، وتقيم الحدود . وقال الغلام اقبري أبي مني السلام، وقمل له: طهرتك الله كما طهرتني .

كرامة زين العابدين

وقتل أبو حمزة الثمالي: أنبت باب علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام . فكرهت أن أنادي . فعدت على الباب إلى أن خرج . فسلمت عليه . ودعوت له فرد . ثم انتهت بي إلى حائط . فقال: يا أبا حمزة ألا ترى إلى هذا الحائط؟ قلت: بلى يا سيدي قال: فإني مستكفي عليه، وأنا حزين مفكر، وإذا دخل على رجل حسن الثياب، فليب الرائحة . ثم نظرت وجهي، وقال: يا علي بن الحسين أراك كميلاً حزينا على الدنيا . فهو رزق حاضره، يا كل منه البار والماجر . فقلت: ما عليهما حزن، وإنما كما تقول . قال: فعلام حزنك؟ قلت: أتخوف فتنة ابن الزبير . قال: فضعحك . ثم قال: يا علي هل رأيت أحداً خاف الله فلم ينجه؟ قلت: لا . قال: يا علي هل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه؟ قلت: لا . ثم نظرت . فإذا ليس قدامي أحد . فعبست من ذلك! وإذا بقاتل أسمع صوته، ولا أرى شخصه . يقول: يا علي بن الحسين هذا الخضر ناجاك . نقل هذه القصة العلامة نور الدين علي بن محمد بن الصباح المكي المالكي في كتاب الفصول المهمة .

كرامة جعفر الصادق

وحدث عبد الله بن الفضل بن الربيع، عن أبيه . قال: لما حج المنصور سنة سبع وأربعين ومائة . فقدم المدينة . فقال للربيع: أبعث إلي جعفر بن محمد - الصادق - من يأتيه به متعباً . فتلني الله إن لم أقتله . فتغافل الربيع عنه وتأسا . فاعاد عليه في اليوم الثاني، وأغلظ في القول . فأرسل إليه الربيع: فلما حضر . قال له الربيع: يا أبا عبد الله

أذكر الله تعالى، فإنه قد أرسل إليك من لا يدفع شره إلا الله. وإنى أتخوف عليك. فقال جعفر: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ثم إن الربيع دخل به على المنصور. فلما رآه المنصور. اغلظ له في القول. وقال: يا عدو الله اتخذك أهل العراق إماماً، يجهون إليك زكاة أموالهم، وتلحد في سبطاني، وتتبع في الغوائل. فتلني الله إن لم أقتلك. فقال جعفر: يا أمير المؤمنين إن سليمان أعطى فشكر. وإن أيوب ابتلى فصبر. وأن يوسف ظلم فغفر. وهؤلاء أتبعاء الله، وإليهم نسيك، ولذك فيهم أسوة حسنة. فقال المنصور: أجل يا أبا عبد الله أرتفع إلي هنا عندي. ثم قال: يا أبا عبد الله إن فلانا أخبرني عنك بما قلت لك. فقال: أحضره يا أمير المؤمنين. لموافقني على ذلك. فاحضر الرجل الذي سعى به إلي المنصور. فقال له المنصور: أحقا ما حكيت لي عن جعفر؟ فقال: نعم، يا أمير المؤمنين. فقال جعفر: استحلقت يا أمير المؤمنين فباع الرجل. وقال: والله العظيم الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الواحد الأحد. وأخذ يعدد في صفات الله تعالى. فقال جعفر: يا أمير المؤمنين أحلفه بما تستحلته. فقال: حلفه بما تختار، فقال جعفر: قل: مررت من حول الله وقبرته إلى حولي وقوتي. لقد فعل جعفر كذا وكذا، فأمتنع الرجل، فنظر إليه المنصور نظرة منكرة. فحلف بها، فما كان بأسرع من أن ضرب برجله الأرض وخرم ميتاً مكانه. فقال المنصور: جروا برجله وأخرجوه. ثم قال: لا عليك يا أبا عبد الله. أنت أليبر الساحة، المسلم الناحية للمؤمن الغائبة على العليب. فأتى بالخلية، فجعل يغلف بها لحيته، إلى أن تركها تقطر. وقال: في حفظ الله وكلاءته وأحقه يا ربيع بجوائز حسنة. وكسوة سنية. قال الربيع: فلحقته بذلك. ثم قلت له: يا أبا عبد الله رأيتك تحرك شفتيك وكلمنا حركتهما. سكن غضب المنصور. بأي شيء كنت تحركهما؟ قال: بدعاء جذى الحسين. قلت: وما هو يا سيدي؟ قال: اللهم يا عدتي عند شدتي، ويا غوثي عند كسرتي، أحمرستي بعينك التي لا تنام. وأكنفتني بركنك الذي لا يرام. وأرحمني بقدرتك على. فلا أهلك وأنت رجائي. اللهم إنك أكبر وأجل وأقدر مما أخاف وأحذر. اللهم بك أدرك في نحره. وأستعيز من شره. إنك على كل شيء قدير.

قال الربيع: فما نزل بي شدة. ودعوت به إلا فرج الله عني.

قال الربيع: وقلت له: منعت الناس عني بك إلى المنصور من أن يحلف بيمينه. وأحلفته

كرامة موسى الكاظم

وروي الأمام محمد بن عيسى في كرامات الأولياء، واجتنبذي في معالم العترة النبوية، وابن خبوزي في مشير الخراف الساكن إلى أشرف الأماكن، عن حاتم بن علوان الأصم، قال: قال لي شقيق البغدادي: خرجت حاجا، مئة ست وأربعين ومائة، فنزلت بالقادسية، فبينما أنا أنظر الناس في مخرجهم إلى الحج وزينتهم وكثرتهم، إذ نظرت إلى شاب حسن الوجه، شديد السمرة، نحيف فوق ثيابه ثوب صوف، مشتمل بشملة، وفي رجليه نعلان، وقد جلس منفردا، فقلت في نفسي: هذا النفس من الصوفية، ويريد أن يخرج مع الناس ويكون كلا عليهم في طريقهم، والله لا أمضي إليه ولا أريحه فدنوت منه، فلما رأيته مقبلا نحوه، قال: يا شقيق ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، ثم تركني وولي، فقلت في نفسي: إن هذا لأمر عجيب: تكلم بما في خاطري، ونطق باسمي، هذا عبد صالح، لا لحقه ولا سألته الدعاء، واتفله لما فعلت فيه، فذاب عني ولم أراه، فلما نزلنا وادي قضة، فإذا هو قائم يصلي، فقلت: هذا صاحب، أمضي إليه وأستحله، فصبرت حتى فرغ من صلاته، فالتفت إلي، وقال: يا شقيق اتل ﴿وَأَنِّي لَأَعْلَمُ لِمَنِ تَابَ وَأَمَّنْ وَعَمَلٌ صَالِحٌ ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [٨٢]، ثم قام ومضى وتركني، فقلت: هذا فتى من الأبدال، فقد تكلم على سره مرتين، فلما نزلنا بالابواء، إذا أنا بالفتى قائما على البير وأنا أنظر إليه، وبه ركة، فيها ماء، فسقطت من يده في البير فرفق السماء بطرفه، وسمعت يقول:

أنت شمس يسرى إذا ظلمت من الماء

وفسوسى إذا أدرت طمسنا

ثم قال: إلهي وسيدى مائي سواك، فلا تعد منيها، فوالله لقد رأيت الماء قد ارتفع إلى رأس البير، والركوة خافية عليه، فمد يده فأخذها، فتوضأ منها، وصلى أربع ركعات، ثم مأل إلى كتيب رمي، فجعل يقبض بيديه ويجعل في الركوة، ويحركها ويشرب، فقلت نحوه: وسلمت عليه، فرد على السلام، فقالت: أما نبي ما اسم الله به عليك، فقال: يا شقيق، لم تزل نعم الله على ظاهرة وباطنة، فأحسن ظنك بيك، ثم ناولني الركوة، فشربت منها، فإذا فيها سويق يسكر، فوالله ما شربت قط ألد منه، ولا أطيب، فشربت ورويت حتى شبعنا فاقست أياما لا أستهي طعاما ولا شربا، ثم لم أره، حتى نزلنا

تمكة. فمرايته ليلة إلى جنب قبة الطراب نصف الليل. وهو قائم يصلي بخشوع وأنيب وبكاء. فلم يزل كذلك، حتى طلع الفجر. ثم قام إلى حاشية المطاف، فركع ركعتي الفجر هناك، ثم صلى مع الناس. ثم دخل المطاف، فطاف إلى بعد شروق الشمس. ثم صلى خلف المقام، ثم خرج يريد اندهاب. فمخرجت فلقه أريد السلام عليه، وإذا به جماعة أحاطوا به يمينا وشمالاً، ومن خلفه ومن أمامه. ويخدم وحشم وأتباع، خرجوا معه. فقلت لأحدهم: من هذا الفتى؟ فقال: هذا موسى الكاظم بن جعفر بن علي بن الحسين رضي الله عنهم.

كرامة ابنه علي الرضا

وروي الخاكم في تاريخه، عن محمد بن عيسى، عن أبي حبيب. قال: رأيت النبي ﷺ في المنام، وكأنه قد وافى المسجد الذي كان ينزله أخراج من بلدنا ... نيسابور ... في كل سنة. وكانت مضيت إليه، وسلمت عليه، ووقفت بين يديه. فوجدته عنده طبق من خوص المدينة، فيه تمر صيحاني، وكأنه قبض قبضة من ذلك التمر فتناولنيها. فعدتها فوجدتها ثمانى عشرة ثمرة، فقلت إني أعيش بكل ثمرة سنة. فلما كان بعد عشرين يوماً، وأنا في أرض لي تعمّر للمزراعة. إذ جاءني من أخبرني بمقدم أبي حسن علي الرضا ابن موسى الكاظم، ونزوله بذلك المسجد. ورأيت الناس يسعون له من كل جهة، يسلمون عليه. فمضيت نحوه، فإذا هو جالس في الموضع الذي رأيت النبي ﷺ جالساً فيه. وتحت سحير، مثل الخصر الذي كان تحته ﷺ. وبين يديه طبق من خوص المدينة، وفيه تمر صيحاني، فسلمت عليه. فرد السلام، واستداني. وتناولني قبضة من ذلك التمر، فإذا هي بعدد ما تناولني النبي ﷺ في النوم، ثمانى عشرة ثمرة. فقلت: زدني. فقال: لو زادك رسول الله ﷺ لزدتك.

ونقل العلامة نور الدين علي بن محمد بن الصانع المكي المائتي في الفصول المهمة: عن أبي خلد، قال: كنت بالعسكر هي بلد سر من رأى أو سامرا ... فبلغني أن هناك رجلاً محبباً أتى به من الشام ... مكبلاً بأخديد. وقالوا: إنه تنبأ. فأتيت باب المسجد، ودفعت ثوباً للسجان، حتى دخلت عليه، فإذا رجل ذو فهم وعقل ولب. فقلت: يا هذا ما قصتك؟ فقال: إني كنت رجلاً بالشام أعبد الله تعالى، في الموضع الذي يقال: إنه نصب فيه رأس الحسين. فبينما أنا ذات ليلة في موضعي، مقبلاً على الخراب، إذ كر الله تعالى. إذ رأيت شخصاً بين يدي، فتظرت إليه. فقال لي: قم، فسلمت معه. فمشى

قليلاً، فإذا أنا في مسجد الكوفة، فقال لي: تعرف هذا المسجد؟ فقلت: نعم، هذا مسجد الكوفة. قال: فصل فصفت معه. ثم انصرف، فلانصرفت معه قليلاً، فإذا نحن بمكة المشرفة، فطاف بالبيت، فطفت معه. ثم خرج فخرجت معه، فمشي قليلاً، فإذا أنا بموضع الذي كنت فيه أعبد الله تعالى بالشام. ثم غاب عني، فبقيت متعجباً حولاً مما رأيت إذا ما كان العام المقبل، إذ ذاك الشخص قد أحبل علي، فاستبشرت به، فدعاني، فابعدته، فلم أعمل معنى كما فعل في العام الماضي، فلما أراد عفا رقتي. قلت له: بحق الذي أتقده علي، إذا رأيت عنك إلا ما أخبرتني: من أنت؟ فقال: أنا محمد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر.

فحدثت بعض من كائن يستمع بي في ذلك الموضع، فرفع ذلك إلى محمد بن عبد الملك الزيات. فبعث إلي من أخذني من موضعي، وكيفني ياخذني، وحملني إلى العراق كما ترى، وأدعني علي بالخال. فقلت له: فأرفع قصتك إلى محمد بن عبد الملك الزيات؟ قال: افعل. فكتبت عنه قصته، وشرحت فيها أمره، ورفعتها إلى محمد بن عبد الملك الزيات. فوقع علي ظهرها: فلي تلي! فأخرجت من الشام إلى هذه المواضع التي ذكرتني؛ يخرجك من السجن. قال أبو خنيفة: فاعثمت لذلك، وسقط في يدي. وقلت: إلى غد آتيه وأمره بالنصير، وأعده من الله بالنصر، وأخبره بمقالة هذا الرجل المشير. فلما كان من الغد، بكرت إلى السجن. فإذا أنا بالحرس والموكلين بالسجن في هرج. فسألت: ما الخبر؟ فقل لي: إن الرجل المتبع لعمول من الشام، فقد أراحته من السجن وحده، وأصبحت قوده والأغلال التي كانت في عنقه عريّة في السجن، وطلب غلم يوحد له أثر. فتعجبت من ذلك؛ وقلت في نفسي: استخفاف ابن الزيات بأمره، واستهزأ به بقصته، فأنصه من السجن.

كرامة سليمان الشوري

وبعث أبو جعفر المنصور. الخشابين أمامه، حين خرج إلى مكة. وقال: إذا رأيتم سفينان شوري فاصنوه. فوصلوا مكة، ونصبوا أنشوب للصلب. وجاءوا إليه، فوجدوه قائماً. رأسه في حجر الفضيل بن عياض، ورجلاه في حجر سفينان بن عينة. فقالوا: يا أبا عبد الله أتق الله. ولا تشمت بنا الأعداء. فتقدم إلي أمثال الكعبة. وقال: يرئت منه إن دخلها أبو جعفر، فمات قبل أن يدخل مكة قلت: سفينان بن سعيد الشوري، أمير المؤمنين في الحديث، وهو أحد الأئمة المشوعين. قال النسائي: هو أجل من أن يقال فيه: لفة. كان منقطع التفسير في الزهد والعبادة. سئل عن رجل يكتسب لعياله. ولو صلى

في الجماعة، لفاته القيام عليهم : ماذا يصنع؟ قال : يكتسب لهم، ويصلي وحده. ومن كلامه : إذا رأيتم شرطياً نائماً عن صلاة، فلا توقظوه لها، فإنه يقوم يؤذي الناس. وقال : كثرة النساء ليست من الدنيا، لأن علياً رضي الله عنه، كان من أزهد الصحابة. وكان له أربع نسوة، وتسع عشرة سرية.

كرامة محمد الحنفى

كان شخص من التجار، شديد الإعجاب على القطب شمس الدين محمد الحنفى. وكان أحياناً يأتى إلى باب الزاوية، ويرفع صوته. بالألغاز القبيحة في حق الشيخ. فدار عليه الزمان، وأفلس وركبته الديون. فجاء إلى الشيخ رضي الله عنه، فطلبه بالترحيب. وجميع نه من أصحابه مالا جزئياً. ولم يزل يعتقده الشيخ إلى أن مات. قلت : الشيخ شمس الدين محمد الحنفى، من الإقطاب الكبار. نه منزلة كبرى في الولاية، وكثيراً ما كان يقول : لو كان عمر بن القارص في زماننا ما وسعه إلا الوقوف بيابناً، وذكروا عنده السيد عبد القادر الجيلاني، فقال : لو حضر عندنا عيد القادر هنا، لكان يتأدب معنا، وهذا من باب التحدث بالنعمة، والتعريف بنفسه، وقد وقع مثله لكثير من العلماء، فالبخارى - رضي الله عنه - قال عن شيخه عفى بن المديني :

وددت لو أنى كنت شعرة في صدره، ومع ذلك كنت أعرب عفيه، يعنى أن البخارى كان يأتى بأحاديث لا يعرفها شيخه عفى بن المديني الذى كان يحفظ ألف ألف حديث^(١)، وقال العلامة الشيخ أحمد بن المبارك اللصطبي : لو أدر كنا السعد أو السيد، لما وسعه إلا أن يأخذ عنا، وقد كان سعد الدين التفتازاني والسيد الشريف الجرجاني، إمامين في علوم الأصول والبلاغة والمنطق.

ومن الإشارات اللطيفة للشيخ محمد الحنفى : أنه سئل : ما تقول الساقية في غنائها؟ قال : تقول : لا يرى ملآن إلا طالعاً، ولا فارغ إلا نازلاً، وقال : خطر لى أن يماط توتة كتبت في خلوتي، فقلت : يا توتة حد ليى حدوتة، فقلت : نعم، إنهم لما زرعوا سقوتى، فلما سقوتى أسست، فلما أسست فرعت، فلما فرعت أورقت، فلما أورقت أثمرت، فلما أثمرت أطعمت، قال : فكان كلامها مذكوراً.

(١) هو أحد جنائز ثلاثة، كان كل واحد منهم يحفظ ألف ألف حديث، والثاني الإمام أحمد بن حنبل، والثالث يحيى بن معين، وكانوا أئمة منقارين في الشمن، وأئمة في الفخر والتعديل.

قلت: هذا أصل ما شاع بين النصريين اليوم، حيث يقولون تونة تونة، خلصت الخدونة.

كرامة لشريف من أشراف المدينة المنورة

نقل العلامة الشيخ عبد الرحمن الأبهري المالكى فى كتاب مشارق الأنوار: أن رجلاً من المغرب، عزم على التوجه إلى الحج، فاعطاه رجل آخر مائة دينار، وقال: تعطيها بالمدينة لشريف صحيح النسب، فلما وصل سأل عن الأشراف، فقالوا له: إنهم عن الشيعة، يسبون الشيخين - رضى الله عنهما - فكره الإعطاء، فجلس بجنبه رجل بالمدينة، فقال له: أنت شريف؟ قال له: نعم، قال له: ما عقيدتك؟ قال: شيعى - فكره الإعطاء له، قال: فممت تلك الليلة، فردت أن القيسية قامت، والناس يجوزون على الصراط، فأردت أن أراه فسمعتنى فاطمة - رضى الله عنها - فأتيت رسول الله ﷺ، فشكوت إليه، فقال لها: ثم منعتيه؟ فقالت: فطع رزق أبى، فقال له رسول الله ﷺ: إنه ما منعه إلا عن كونه بسب الشيخين، قال: فالتفت فاطمة - رضى الله عنها - إلى الشيخين - رضى الله عنهما - وقالت لهما: أتؤاخذان أبى بذلك؟ فقالا: لا، بل سأمحناه، فالتفت إلى، وقالت: ما الذى أدخلك بين ولدى وبين الشيخين؟ فانتبهت فزعاً، فأخذت المبلغ، وجئت به إلى ذلك الشريف، فدفعته إليه، فتعجب من ذلك؛ فقصصت عليه الرؤيا، فقال: أشهدك على أبى لا أسبهما.

قلت: أغلب الشيعة الموجودين فى هذا العصر نوعان:

زيدية، أتباع زيد بن على زين العابدين - عليهما السلام - وهؤلاء يتولون الشيخين أياً بكر وعمر ويخوضون عليهما، وإن كانوا يرون عثياً - عليه السلام - أفضل وأحق بالخلافة منهما، لكنهم يرون جواز إمامة المفضل، مع وجود أفاضل، وهم الموجودون باليمن اليوم.

وإمامية، وهم موجودون بالعراق وإيران وسوريا وليبى وبعض بلاد الهند، وهؤلاء يبخضون الشيخين ويسبونهما كما يسبون عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها -

كرامة مطرف بن عبد الله بن الشيخير

تعدى رجل على مطرف بن عبد الله بن الشيخير، وظلمه، فقال: أما لك الله على عجل، فسأت فى المال، فطلبوه إلى زياد وهو وإن على البصرة، فقال: على مسه؟ قالوا:

لا، قال: فهل هي إلا دعوة رجل صائح، وافقت قدراً فأطفقوه.

قلت: مطرف بعظم الميم، وكسر الراء المتعددة، والمساخير بكسر الشين والحاء المعجمتين المشددتين، كان من فضلاء التابعين، وأبوه صحابي، منى مطرف عن الرجل يتبع الجنازة، حياء من أهلياء، هل له في ذلك أجر؟ فقال: ذهب ابن سيرين إلى أن أجرين: أجر صلته على أخيه، وأجر مشيه خلفه.

كرامة سعيد بن جبير

لما قدم الحجاج سعيد بن جبير للقتل، قال سعيد: اللهم لا تسلط الحجاج على أحد بعدي، فعاش الحجاج بعده نحو أسبوعين، وقعت الأكلة في بطنه، وكان ينادي بقبة أياقه: مالي وللسعيد بن جبير؟ كلما أردت النوم، أخذ برجلي.

قلت: سعيد بن جبير أحد علماء التابعين، تلقى التفسير عن أبي عباس - رضى الله عنهما - هو من الثقات في التفسير والحديث، أخرج له السنة، كان مجاب الدعوة، كان له دين، يقوم على صياحه للصلاة، فم يصبح ليلة، فنام سعيد عن ورده، فدعا عليه، فمات لوفته، فعزم أن لا يدعو على شيء أبداً.

كرامة ذي النون المصري

وقال ذو النون المصري - رضى الله عنه - : لما حسنت من مصر في الحديد إلى بغداد، لغيتنى امرأة زنت، فقالت: إذا دخلت على المتوكل، فلا تهبه، ولا ترى أنه فوقك، ولا تحتج لنفسك، محققاً كنت أو متهماً، لأنك إن هبته سلطه الله عليك، وإن حاججته عن نفسك، لم يزدك ذلك إلا وبالاً، لأنك باهت الله فيما يعلمه، وإن كنت بريئاً، فدع الله أن ينتصر لك، ولا تنتصر لنفسك، فيكذلك إليها، فقلت لها: سمعاً وطاعة، فأبى دخلت على المتوكل، سلمت عليه بالخلافة، فقال: ما تقول فيما قيل فيك من الكفر والزندقة؟ فسكت، فقال وزيره: هو حقيقة عندي بما قيل فيه، ثم قال لي: لم لا تتكلم؟ فقلت: يا أمير المؤمنين إن قلت: لا كذبت المسلمين، وإن قلت: نعم، كذبت على نفسي بشيء لا يعلمه الله تعالى مني، فافعل أنت ما ترى، فإني غير متعصر لنفسي.

فقال المتوكل: هو بريء بما قيل فيه، فخرجت إلى الأعرج، فقلت لها: جزاك الله عنى خيراً، فعلت ما أمرتني به، فمن أين لك هذا؟ فقالت: من حيث ما خاطب، به الهدى لمؤمنين - عليه السلام - وكان ذو النون بعد ذلك يقول: من أراد تجريد التوحيد،

وخالفني التوركي، فعليه بالنساء الزعني ببغداد.

قلت: إلهام المتوكل الحكيم ببراءة ذي النون، كرامة أكرمه الله بها، حيث فوض الأمر إليه، ولم يحتج لنفسه، عملاً بوصية العجوز الزمنة التي أخذت ما أوصته به، من قصة إلهامه، حيث لم يحتج عند سليمان، حين نفسه، بل ترك الاحتجاج، وأخذ بحديثه عن ملكة سبأ، فعفا عنه، وأبرده بريداً إليها، كما جاء في القرآن الكريم.

كرامة ابن الخوارث الحافى

قال بشر بن الخوارث الحافى ... رضى الله عنه ... كتبت مرة كتاباً فعرض لى كلام، إن كتبت، حس الكتاب، وكان كذباً وإن تركته، مسح الكتاب، وكان صدقاً، فعزمت على ذكر الكلام للمسح المصدق، فنادى هاتف من جانب البيت ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ١٢٧].

قلت: بشر كان من كبار الصوفية وأجلاتهم، عالم ربح كبير الشأن، صاحب الفضيل بن عياض، ونادب به، كان يرى تفضيل الصدقة، على الجهاد والنجح والمصرة، ويقول: لأن هذا يركب ويحج فيسراه الناس، وذلك يعطى سراً، فلا يراه إلا الله ... عز وجل، وسئل عن التصوف؟ فقال: هو اسم لثلاثة معان: أن لا يغنى نور معرفة العارف نور ورعه، وأن لا يتكلم في علم باطن، بكلام ينقطع عليه ظاهر الكتاب والسنة، ولا تحمله الكرامات، عني هنك أستاذ محارم الله - عز وجل، وقال: دخلت دارى مرة، قرأت فيها رجلاً طويلاً قائماً يصلى، فراعته ذلك، لأن المفتاح كان معي، فسلم من صلاته، ثم قال: لا تفرع، أنا أخوك الخضر، فخلت له: علمنى شيئاً ينفعنى الله به، فقال: قل: أستغفر الله - عز وجل ... وأسأله التوبة من كل ذنب نبت منه، ثم رجعت إليه، وأستغفر الله ... عز وجل ... وأسأله التوبة من كل عقد عقده الله على نفسه، ففسخته ولم أوقف به، وأستغفر الله ... عز وجل ... وأتوب إليه من كل نعمة أعم بها على صول عمري، وأستعنت بها على معصية، وأسأله الحفظ، والحمية من ذلك كله.

بحث في الخضر

قلت: ذكر كثير من الأولياء أنهم رأوا الخضر، ويسألوه عن أشياء، أجابهم عنها، وعلم بعضهم أدعية وأذكاراً، مثل هذا الدعاء المذكور هنا، وبثل التسبيحات المثلثة عنه، وتقرأ بعد صلاة العصر، والخلاص لى حياته وتعميره معروفاً، وفي صحيح مسلم عن أبى

سعيد الخدرى ... رضي الله عنه - قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثاً طويلاً عن الدجال، فكان فيما حدثنا: أن قال: «يأتى وهو محرم عليه أن يدخل عتبات المدينة فينتهي إلى بعض السباع التي تلى المدينة فيخرج إليه رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول الدجال: إن قتلت هذا ثم أحبيته أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله ثم يحويه، فيقول حين يحويه: والله ما كنت قبلك قط أشد بصيرة مني الآن، فيريد الدجال أن يقتله فلا يستطيع أن يسلط عليه؛ قال إبراهيم بن سعد: إن هذا الرجل هو الخضر، هكذا في صحيح مسلم؛ والدخاقل ابن حجر كتاب الزهر النضر في نبي الخضر، ذكر فيه آثاراً عن رأي الخضر، واجتمع به، وقال: إن الأثر عن عمر بن عبد العزيز، في اجتماعه بالخضر، صحيح، وكثير من الصوفية، بل معظمهم يقولون: إن الخضر (١) ولي، وهذا غير صحيح، بل هو نبي بلا شك، والدليل على نبوته الكتاب والسنة، وقد بينت ذلك في خواطر دينية.

وقال الشيخ علي وفا، في بعض كتبه: لكل ولي خضر، هو يمثل روح ولابته، كما لكل نبي سورة يسير، أي تمثل روح نبوته، وهذا يفيد أن الخضر الذي يراه الأولياء، غير الخضر المعهود، وهذا هو المنتجه لوجود:

منها: أن كثير من الأولياء ذكروا أنهم رأوا الخضر، ولم يبلغوا في الولاية درجة تؤهلهم لرؤيته والاجتماع به، فلا وجه لصحة كلامهم، إلا بحمله على ما قاله الشيخ علي وفا.

ومنها: أن بعض الأولياء ذكر أن الخضر ظهر له، وطلب منه الصحبة في سفره، فرفض لولبي، ونيس من المعقول: أن يرفض ولي صحبة نبي سعى إليه موسى - عليه السلام - يطلب مرافقته، والشعوب منه، فلا بد أنه خضر آخر.

١) قال بعض العارفين: القوي بولاية الخضر، فتح أبواب الزندقة، وهو صحيح، لأنه أدى إلى دعوى الخيلة أنهم بلغوا في الولاية شأواً أعزوا فيه علماً لم يدركها بعض الأنبياء، ويحتجون بأن الخضر، وهو ولي، علم موسى الرسول حقائق لم يكن يعرفها، ويقولون تعيلاً لذلك: يوجد في النهار ما لا يوجد في الليل، وإن الشريعة لا تقتضي التفتيش، وهذا كلام باطل، أوضحنا بطلانه في كتابنا خواطر دينية، ويكفي أن تعلم أن علم النبي علم يقيني، يفوضه عليه جبريل - عليه السلام - وكل علم الولي إلهام ظني، يحتمل الخطأ والتدخين، فهل يستويان؟

ومنها: أن الشمراني ذكر أن الخضر صوب له المذاهب الأربعة وبين له أن الخلاف بينها دائر بين تشديد، هو عزيمة، أو تخفيف، هو رخصة، أو توسط بينهما، وألف كتاباً سماه الميزان الخضرية، قرأته، والنبى لا يصدر عنه هذا الكلام لسبب:

أحدهما: أنه لا يؤيد التقليد، ولا يتكلف نتوجيه.

ثانيهما: لو سلمنا أنه أيد التقليد، فلا يمكن أن يحدده في المذاهب الأربعة، ويدع مذهب الظاهرية والزيدية والإمامية والإباضية^(١)، وهؤلاء كلهم مسلمون، يصنون ويصومون ويحججون إلى البيت الحرام، ويفسرون القرآن ويتأخذون منه ومن السنة أحكام الدين، فلا بد أن الذي ظهر للشمراني خضره الخاص الذي يمثل روح ولايته.

وصوب له تقليد الأربعة: وهي المذاهب المعروفة في مصر، ولم يلتفت إلى طرابلس وتونس والجزائر وعمان، (بضم العين وتخفيف الميم) حيث يوجد مذهب الإباضية ولا إلى اليمن، حيث يوجد مذهب الزيدية، ولا إلى الشام والتحف وفارس وغيرها من البلاد التي يوجد فيها مذهب الإمامية، بل لم يلتفت إلى أشيخ الأكبر محي الدين بن العربي الحائمي الذي كان ظاهري المذهب، واختصر كتاب المحلى لابن حزم الظاهري، ولا إلى الإمام المقرئ المفسر أبي حيان الأندلسي الظاهري المدفون بمصر.

ولهذا كان قول الشيخ عثي وفا - رحمه الله تعالى -: لكل ولي خضر، في غاية الوجهاء، بزيده قول أبي تراب النخعي: رأيت رجلاً بالبادية، خلفت له من أدب؟ فقال: أنا الخضر الموكل بالأنبياء، أرد قلوبهم إذا شردت عن الله ... عز وجل ... والخضر النبي، ليست هذه وظيفته.

وقال النخعي: كان أنورى إذا دخل مسجد الشونيزية - ببغداد - انطلق ضوء السراج من ضياء وجهه، ولذلك سمي بالنورى، قال: وكان إذا حصر معاً، لا تؤذينا البراغيش.

كرامة النورى

قلت: أحمد بن محمد النورى البغدادي، يعرف بأبن اليسغوى، صاحب السرى

(١) بكسر الهمزة، نسبة إلى عبد الله بن عباس بالكسر، قرأت بعض كتبهم كعمدة الربيع بن حبيب، وقفاظ

السنقفي، فهو من أقران الجنيد.

ومن كلامه: لبس التصوف رسوماً ولا علوماً، وإنما هو أخلاق، وقال: وقفت على شيخ يضرب بالسياط، فعددت عليه أنقاً، وهو ساكت، فاستحسنت صبره، مع كبر سنه، فلما أدخل الرجل أخيس، دخلت عليه فسألته عن صبره مع سنه الكبيرة؟ فقال: يا أخي إنما يحمل البلاء، اللهم، لا الأجسام.

كرامة أبي الخير التيناني

وقال أبو الخير الأقطع التيناني: أتيت قبر رسول الله ﷺ وأنا جائع، فقلت: أنا ضيفك يا رسول الله، ونهيت ونمت خلف المنبر، فرأيت النبي ﷺ، فقيت ما بين عينيه، فدايع لي رغيفاً، فاكلت نصفه، وأنتهيت ويدي النصف الآخر.

قلت: أبو الخير، أصله من المغرب، كان أوحد زمانه في مقام التوكل، وله دراسة حادة.

من كلامه: إياك أن تطلب من الله أن يصيرك، ولكن اسأل الله الطمأنينة، فهو أولى، لأن تخرج مرارات الصبر شديدة على أمثالنا.

قلت: يؤيد هذا الكلام، حديث النبي ﷺ: فقد مر برجل يسأل الله الصبر، فقال له: سألت الله البلاء فسأله العافية.

وسبب قطع يده: أنه عقد مع الله عقداً ألا يمد يده إلى شيء مما تنبت الأرض بشهوة، فنسى وتناول عتقوداً من شجرة البطم، فبينما هو يلوكه، إذ تذكر العقدة فرمى بالعتقود، وبصق ما في فيه، وجلس نادماً، قال: فما استقر بي الخنوس، حتى دار بي فرسان ورجال، وقالوا: قم، فساقوني حتى أخرجوني إلى ساحل بحر الإسكندرية، فرأيت هناك أميراً وبين يديه سودان، عند قطعوا الطريق، فوجدوني أسود اللون، ومعى ترس وحربة وسيف، فقالوا: هذا منهم بلاشك، فقطع أيديهم وأرجلهم، إلى أن وصل إلي، فقال لي: قدم يدك، فمدتها فقطعها، فقال: مد رجلك، فمدتها، ثم رفعت رأسي، وقلت: إلهي وسيدى ومولاي يدي جنت، فسرحتي ماذا صنعت؟ فدخل عليه فأس، ورمى بنفسه على الأمير، وقال: هذا رجل صالح، يعرف بابي الخير التيناني، فرمى الأمير نفسه

إلى الأرض، وأخذ يمدى المقصود من الأرض يقبلها، وتعلق بي يبكي، ويهشدر إلى،
فقلت له: جعلتك في حل، من أول ما قطعتهما، وقلت: يد جنت فقطعت، توفي سنة
تيف وأربعين وثلاثمائة هجرية بمصر، رحمه الله ورثني عنه.

هذا آخر كتاب (النفذ المبرم لرسالة انشرف المحتشم) ..

وكان انشرف من تبييضه ظهر يوم الأربعاء السادس من شهر شعبان المبارك، من شهر
سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وألف، ختمها الله بخير، وختم لنا بالحسن آمين والحمد لله
رب العالمين.

بخط ناسخه الفقير إلى الله تعالى

محمد بن عمر بن عمر التوماني

وفقه الله وعافاه آمين

بحمد الله تم الكتاب

أولياء وكرامات

إشراف:

محمد بن علي بن يوسف

تعريف بالمؤلف

وُلِدَ صباح يوم الخميس ثَمرة شهر رجب سنة ١٣٢٨ هجرية، وحفظ القرآن بقراءة ورش وسنة عشر سنوات، وحفظ متن الأجرومية والأربعين النووية، وشرع في حفظ متن الالقية، ومختصر خليل في فقه المالكية، وبتلويح الأرقام من أدلة الأحكام، ثم أعجفته السفر لحضور العلم، فلم يتم حفظها.

ما يحمله من شهادات

حصل على شهادة العالمية الخاصة بالخبراء سنة ١٣٥١ هجرية، وهي سبعة بمضاء الشيخ محمد الأحمدي الظواهري شيخ الجامع الأزهر إذ ذاك، والامتحان فيها يكون في اثني عشر علماً.

ثم حصل على شهادة العالمية الأزهرية، وهي براءة ملكية صادرة من قصر عابدين سنة ١٣٦١ باسم الملك فاروق ويكون الامتحان فيها في ستة عشر علماً.

ولم تلاميذه تخرجوا على يديه، وحصلوا على شهادات عثمية من الأزهر، وهم في مصر وغيرها من البلاد الإسلامية واضلوع على شيء كثير جداً من كتب التفسير والحديث والرجال والفقه والتصرف والأجزاء المفردة الحديثة وغيرها.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الخطبة وذكر السيرة النبوية على تأليف الكتاب	٧
مقدمة في ذم الغدائي	٨
الباب الأول	
الفصل الأول: إبطال حكاية تفهيم الرفاعي رد النبي - عليه السلام -	٩٢
حكاية الثور الذي نطق في بعض قرون دمشق	١٤
حكاية عن الرفاعي بأطلة	١٨
لا يصح خطاب النبي - عليه السلام - بكلام فيه حق	١٩
الفصل الثاني: إبطال نسبة رسالة الشرف المحتتم إلى السيوطي	٢٢
الباب الثاني	
ذكر كرامات غير معقولة	
سفيان بن عيينة	٢٦
محمد وفا	٢٦
عبد القادر الجيلاني	٢٦
أبو السعود ابن أبي العشائر	٢٦
لا تقع الكرامة لولي في طقوسه	٢٧
أحمد بن الرفاعي	٢٨
عبد الرحيم القناري أنعماري	٢٨

٢٨ بحث في الملائكة ... عليهم السلام
٢٩ فكرة الأقطاب الأربعة لا أصل لها
٣٠ حسد البدوي مجادوب رئيس بقمه
٣١ بعض كرامات البدوي
٣٥ قصة فاطمة بنت هري مكذوبة
٤٠ بعض كرامات إبراهيم الندسوقي
٤٢ حكاية محمد بن هارون مع عيسى الفردائي
٤٦ حكاية يوسف الكردي والجوهري وتحقيق معنى فلي الزمان
٤٤ محمد تاج الدين الذّاكر وأبو السعود الجفاري
٤٥ معزة السيدة نفيسة
٤٦ طهران النعش بالبيت كذبة الشعراني
٤٧ عيسى بن نجم مكث ثلثاً ١٧ سنة وعذ نومه كرامة له
٤٧ حصان دخل قبره ولم يخرج منه
٤٩ الشيخ الشيباني رد ملك الموت حين حضر لقبض روح وندبه
٥٠ حسن العراقي قابل المهدي! وبحث في هذا الموضوع
٥٢ اجتماع سهل التستري بشخص من أصحاب عيسى ... عليه السلام!
٥٤ كلام للشيخ إبراهيم الندسوقي غير مقبول
٥٦ كرامة سبعة لشخص يسمى الشيخ عبيد
٥٦ كرامة سبعة لشخص يسمى الشيخ علي وحيد
٤٦ الشيخ علي أبو خودة والكلام علي الملائكية
٥٧ مناقشة أبي الفضل الأحمدي في كلام علي تلقين الذكر

الذباب الثالث

في ذكر كرامات معقولة

٥٩	كرامة الحسن بن علي عليهما السلام
٥٩	عمر يقيم الخلد على ابنه مرة ثانية
٦٠	عمر أقام الخلد على ابنه أبي شحملة حتى مات
٦٢	كرامة زين العابدين
٦٢	كرامة جعفر الصادق
٦٥	كرامة موسى الكاظم
٦٦	كرامة ابنه علي الرضا
٦٧	كرامة سفيان الثوري
٦٨	كرامة الشيخ محمد الحنفى
٦٩	كرامة لشريف من أشراف المدينة المنورة
٦٩	كرامة مطرف بن عبد الله بن الشيخير
٧٠	كرامة سعيد بن جبير
٧٠	كرامة ذي القرن المصري
٧١	كرامة بشر بن الحارث الخافى
٧١	بحث في الخضر
٧٣	كرامة النوري
٧٤	كرامة أبي الخير التيناني
٧٦	تعريف بالمرئىف
٨٢	الفهرس

